موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٣)

الحكمة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢٠٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٣)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢٠٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٣)

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الحكمة لغةً	٧
الحكمة اصطلاحًا	٨
تطور مدلول الحكمة	١٠
مصادر الحكمة	٢٠
مقومات الحكمة	٣٩
وسائل اكتساب الحكمة	٤١
أقسام الحكمة	٤٢
أثر الحكمة في الفرد والمجتمع	٤٢
موضوعات الحكمة	٤٣
الفهارس	٨٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

الحكمة أساس مكارم الأخلاق والحياة السويّة الناجحة، إذ لا تجد مكرمة إلاّ وللحكمة فيها نصيب وافر، وحظ عظيم، فالشجاعة بلا حكمة تهور وانتحار، والكرم من غير حكمة تبذير وإسراف، والعفو من دون حكمة فوضى وانحلال، فالحكمة تمازج كلّ مكرمة أو خلق نبيل، ولأن الحكمة إطار تُشَكَّل فيه كل قيمة وفضيلة، فقد نتعرض لبعض البحوث التي تناولتها الدراسة في معانٍ مستقلة مثل الكرم أو الصبر والشجاعة وغيرها، ناظرين إلى عمل الحكمة وقيمتها في هذه الأخلاق والقيم التي انفرد كل منها ببحث مستقل في هذه الموسوعة.

وإنّ من عظيم شأنها أن المولى عز وجل اتصف بها، فكان (الحكيم) من أسمائه الحسنى، وجاء هذا الوصف منفرداً أو مقترناً بالعزيز والعليم والخبير والتواب والواسع، في عدد من الآيات الكريمة.

وكانت خلقًا عربيًا ساد في الجاهلية، وقد كان اكتسابها فطريًا استمدوه من تجاربهم الشخصية في الحياة، ونظرتهم إلى الكون، وأحوال مجتمعهم. فانثالت الحكمة على ألسنتهم أشعارًا وأمثالاً ووصايا ومواعظ، وكانوا يحرصون على اكتسابها، وتربية أبنائهم عليها.

وما إن بُعث محمد عليه السلام في جزيرة العرب، يتلو عليهم كتاب الله، ويرتل على مسامعهم آياته الخالدة التي تتشح كل كلمة فيها بحكمة بالغة، حتى أصبح القرآن الكريم مصدرًا عظيمًا، ونبعًا ثرًا للحكمة، فتخرج في مدرسته حكماء الإسلام على مر العصور.

وما نكاد نصل إلى ازدهار الحضارة الثقافية العربية في أوائل العصر العباسي حتى انفتحت نوافذ الفكر والمعرفة على الثقافات الإنسانية الأخرى قديمها وحديثها، فنتج

www.mtenback.com

عن هذا الانفتاح تلاقح قوي أصبحت فيه الحكمة معنى حضاريًـــا وفلســـفة فكريـــة يتعلمها الناس وتؤلف فيها الكتب.

وقد تناولت كتب التراث العربي الحكمة، فنقلت أقوال الحكماء شعرًا ونثرًا في شتى الموضوعات ومختلف المعاني، فكانت الغاية درس مصادر الحكمة ومقوماتهـــــا، وبيان وسائل اكتسابها، والتخلق بها.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الحكمة لغة:

يرد جذر (ح ك م) في اللغة بمعنى المنع والردع[1]. وكل مشتقاته تحمل في طيّاتها معنى المنع. وفي اللسان: حَكَمْتُ وَأَحْكَمْتُ وَحَكَّمْتُ، بمعنى منعت ورددت[2].

وَحَكَمَ الشيء، وأحكمه، منعه من الفساد[3]: «وَحَكَمَ الرجلَ وَحَكَّمَهُ، وَأَحْكَمَهُ: منعه مما يريد»[4].

ومن ثمة قيل للحاكم حاكمًا؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم[5]، وقال الأصمعي[6]: «أصل الحكومة ردُّ الرجل عن الظلم». ومن ذلك حَكَمَةُ الدَّابة، «وهي حديدة توضع في لجام الفرس سميت بذلك لأنَّها تُذَلِّلُها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه»[7].

ومن هذا الأصل اشتقت الحكمة، قال ابن فارس[8]: «والحكمة هذا قياسها، لأنَّها تمنع من الجهل». وفي المصباح المنير[9]: «... ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال».

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ط ١، (١٣٦٦هـ) (حكم) ج١، ص ٩١.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (حكم) ج١٣، ص ١٤١.

(3) المصدر السابق ج١٣، ص ١٤٣.

(4) المصدر السابق ج ١٣، ص ١٤٤

(5) المصدر السابق ج ١٣، ص ١٤١.

(6) المصدر السابق نفسه.

(7) الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير (بلا مكان طبع ولا تاريخ) (حكم) ص ١٤٥.

(8) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (حكم) ج١، ص ٩١.

(9) الفيومي: المصباح المنير (حكم) ص ١٤٥.

www.mtenback.com

والمحكَّم، هو الشيخ المجرب المنسوب إلى الحكمة[١٠]، قال طرفة[١١]:

لَيْتَ المُحَكّمَ والمَوْعُـــوظَ صَوْتَكُمـــا تَحْتَ التُّرابِ، إذا ما الباطِلُ انْكَشَفا

والحكيم: ذو الحكمة، وحَكُمَ فلانٌ صار حكيمًا، قال النَّمرُ بن تولب[١٢]:

وَأَبْغِـــضْ بَغِيْضَـــكَ بُغْضًـــا رُوَيْـــدًا إِذَا أَنْـــتَ حَـــاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَـــــا

أي إذا حاولت أن تكون حكيمًا[١٣].

نخلص من ذلك إلى أن المعنى اللغوي للحكمة هو المنع: إذ إنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه أو يعاب عليه، وفيها معنى إتقان الشيء وحذقه، لأن في إتقانـــه منعًا لفساده.

الحكمة اصطلاحًا:

لها مدلول عام، وهو معرفة أفضل الأمور، وإتقان الأشياء، وإصابة الحـــق عـــن طريق العقل والعلم.

جاء في اللسان[١٤]: «والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلـــوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم».

ويفصِّل أحمد رضا دلالتها، فيقول[١٥]: «الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقـــل: ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.... العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية».

---

[١٠] ابن منظور، اللسان ١٣/١٤٣ (حكم).

[١١] طرفة بن العبد: ديوانه، شرح وتقديم: محمد حمود، دار الفكر، بيروت ط١، (١٩٩٥م)، ص ١٠٠.

[١٢] ابن منظور: اللسان ١٣/١٤٠ (حكم).

[١٣] المصدر السابق نفسه.

[١٤] المصدر السابق نفسه.

[١٥] رضا، أحمد: متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ج٢، ص ١٤٠ (حكم).

www.mtenback.com

ويرى سيد قطب أن الحكمة هي القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهدي للصالح الصائب من الحركات والأعمال[١٦].

من مجمل هذه الأقوال نستخلص أن الحكمة هي العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال. وهي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام[١٧].

ومن ثم فالحكمة خلاصة التجربة الإنسانية في الحياة في جوانبها المتعددة ومناحيها المختلفة، ولهذا فإن جميع الأمور لا تصلح أو تستقيم إلا بالحكمة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٨].

وقد وردت لفظة «الحكمة» في القرآن الكريم عشرين مرةً، بمعانٍ متنوعة، وقد اختلف العلماء والمفسرون في تحديد دلالاتها، قال الفيروزآبادي[١٩]: وردت الحكمة في القرآن الكريم على ستة أوجه: النبوة والرسالة والقرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القول فيه وفهم الدقائق، والتفقه في الدين، ومعنى الوعظ والتذكير و أوامر القرآن ونواهيه، وحجة العقل على وفق أحكام الشريعة.

وأورد أبو حيان في البحر المحيط مختلف معاني الحكمة في القرآن فمنها: الشريعة وبيان الأحكام، والسنة وبيان النبي للشرائع، كالفقه في الدين والفهم الذي هو سجية

---

[١٦] قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١٢، (١٤١٦هـ/١٩٨٦م).

[١٧] عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، (١٣٧٥هـ)، ١/٣٣٢.

[١٨] سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

[١٩] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ٢/٤٩٠.

www.mtenback.com

ونور من الله تعالى، وفهم القرآن، و الحكم والقضاء، وكلُّ كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح، وهي كل صواب من القول ورّث فعلاً صحيحًا. وقال يحيى بن معاذ: الحكمة جند من جنود الله يرسلها الله إلى قلوب العارفين، حتى يروّح عنها وهج الدنيا، وقيل هي وضع الأشياء مواضعها، وقيل هي كل قول وجب فعله.

كلّ هذه المعاني متقاربة، يجمعها قول رشيد رضا[٢٠]: «الحكمة: العلم الصحيح، الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير».

ويحسن ختم دلالاتها بما قاله ابن قيم الجوزية إنها : «فعل ماينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي»[٢١].

تطور مدلول الحكمة:

لم تكن الحكمة ودلالتها في العصر الجاهلي، تعدو معنى التجربة في الحياة، والتبصر في عواقب الأيام. ولكن عندما أشرقت شمس الإسلام، وأضاء جوانب الجزيرة العربية بما بثه من نور العلم واليقين، تطور مدلول الحكمة، فأصبحت مرادفة للتفقه بأمور الدين والدنيا، وارتبطت بالعلم والعمل، وبالقيم الدينية والخلقية التي جاء بها الإسلام.

وما نصل إلى العصر العباسي – الذي تمازجت فيه الثقافات العالمية، حيث نشطت حركة الترجمة والنقل إلى العربية، وتنوعت روافد الثقافة وتشعبت، حتى تطور مفهوم الحكمة، فأصبحت أحيانًا ترادف الفلسفة التي شرعت تسبر النفس الإنسانية وتبحث في علاقة الإنسان بالكون والحياة وتتشعب – معانيها ودلالاتها حتى صار للحكمة مصادر مختلفة وأسباب متعددة، وهي عزيزة المنال لا يصلها إلاّ الأفذاذ من

---

[٢٠] رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت (١٣٩٣هـ) ج٣، ص ٧٧.

[٢١] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربية، (١٣٩٢هـ)، ج٢، ص ٤٧٩.

www.mtenback.com

الناس، أو من أراد الله تعالى بهم خيراً. ولا شك أن الحكمة تأتي نتيجة للتجارب سواء أكانت تجارب ذاتية، قائمة على التأمل والتبصر بما يحدث، ويجري من شؤون الحياة وأمور الكون، أم كانت عامة مشتركة بين الناس جميعاً.

والتجربة تكسب الشخص خبرة ودراية وفهماً وبعد نظر، وهذه كلها من مقومات الحكمة. فقد قيل قديماً[٢٢]: «التجربة كالمسنّ، والتجارب مرائي الغيوب، ونواظر العيوب». ففي التجربة يظهر الحسن وغيره، ويعرف الصالح مما ليس فيه صلاح، فالتجربة تشحذ الذهن، وتجعله حاداً بصيراً، فتجعل المرء ينظر إلى عواقب الأمور، ويقدر الأحداث قبل وقوعها، وبالتجربة يميز الإنسان النافع من الضار.

والتجربة الذاتية تجربة واقعية بسيطة في مظهرها، عميقة في دلالتها[٢٣]، فهي التي صنعت الحكماء، وجعلت الحكمة تنثال على ألسنتهم كالجواهر التي ينقدها الصيرفي.

فتجربة الحياة، والتبصر بمراحل العمر جعلت من زهير بن أبي سُلمى حكيماً، إذ يقول[٢٤]:

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمانينَ حَوْلاً لا أَبَالَكَ يَسْأَمِ

مثل هذه الحكمة لا تصدر إلاّ من رجل عاش تجربة طويلة، وعرك الحياة وعركته، فصاغ تلك التجربة بهذه الحكمة الخالدة بعد علم ومعرفة ومعاناة واعية أكسبته النظر الصائب.

---

(٢٢) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: كتاب الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ٨/١.

(٢٣) عويس، محمد: الحكمة في الشعر العربي، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة (١٩٨٦م)، ٣٢/١.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ص ٢٩.

www.mtenback.com

وهذا عمرو بن قميئة تقوده تجربته الذاتية، وطول تأمله فيما حوله من المعمرين إلى صوغ الحكمة التالية[٢٥]:

لا تَغْبِطِ المَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ ... أَمْسى فُلانٌ لِسِنِّهِ حِكَما

إنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ ... أَضْحَى عَلَى الوَجْهِ طُولُ ماسَلِما

فطول العمر وكثرة التجارب تكسب الإنسان حكمًا، ولكن لا يصل إلى هذه الرتبة العالية من الفهم والحكمة إلا وقد ذوى عوده وذبل محياه، وتجعّدت وجنتاه.

وتجربة الرجال وطول معاشرتهم جعلت العباس بن مرداس بصيرًا بدخائلهم حكيمًا في تمييز معادنهم، حين يقول[٢٦]:

تَرى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَرِيرُ

فَما عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

فالرجال لا يقاسون بجمال أجسامهم وعظمها، إنما بأفعالهم الحميدة، وسجاياهم النبيلة، وتلك مقياس نفعهم ومحل فخرهم. أما الأجسام فأشكال لا علاقة لها بالمضمون والجوهر.

وقد تكون التجربة قصيرة في مقياس الزمان، ولكنها عميقة في دلالتها، عظيمة في نتائجها، وكأن صاحبها اختزل الزمن، وسبر غور الليالي القصيرة. فوصل - بما أوتيه من ذكاء وقاد، وبصيرة بعيدة الغور - إلى ما لم يصل إليه كثير من المعمرين. فهذا

---

[٢٥] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢ (١٩١٣م)، ١١/٢.

[٢٦] الهاشمي، السيد أحمد: جواهر الأدب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢٢، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص٤٢٥.

www.mtenback.com

طرفة بن العبد الذي اخترم شبابه فمات و لم يجاوز السادسة والعشرين يصوغ حكمًا بليغة نابعة من تجربة صادقة مكثفة، وتبصر في أمور الدنيا فيقول[٢٧]:

إذا كُنْتَ في حاجَةٍ مُرْسِلاً ... فأَرْسِلْ حَكيمًا وَلا تُوصِهِ

وإنْ ناصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ... فلا تَنْأَ عَنْهُ وَلا تُقْصِهِ

وَإنْ بابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوى ... فَشَاوِرْ لَبِيبًا ولا تَعْصِهِ

وذو الحَقِّ لا تَنْتَقِصْ حَقَّهُ ... فَإِنَّ القَطيعَةَ في نَقْصِهِ

وَلا تَذْكُرِ الدَّهْرَ في مَجْلِسٍ ... حَدِيثًا إذا أَنْتَ لَمْ تُحْصِهِ

وَنُصَّ الحديثَ إلى أَهْلِهِ ... فَإِنَّ الوَثيقَةَ في نَصِّهِ

وَلا تَحْرِصَنَّ فَرُبَّ امْرِئٍ ... حَرِيصٍ فَضَاعَ على حِرْصِهِ

وَكَمْ مِنْ فَتىً سَاقِطٍ غَفْلَةً ... وَقَدْ يُعْجَبُ النّاسُ مِنْ شَخْصِهِ

وَآخَرَ تَحْسَبُهُ أَنْوَكًا ... وَيَأْتيكَ بالأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ

لَبِسْتُ اللَّيالِي فَأَفْنَيْنَني ... وَسَرْبَلَني الدَّهْرُ في قَمْصِهِ

لقد أوردنا هذه القصيدة كاملة، لأن كلّ بيت فيها هو حكمة بالغة، وجوهرة نفيسة، ناتجة عن تجربة مكثفة وعميقة، ونابعة عن تبصر ووعي في أفراد المجتمع وأحوالهم، بل هي دستور حياة، فلا يُرْسَل إلا الحكيم، فهو أدرى بموارد الأمور ومصادرها، فلا يحتاج إلى توصية أو توجيه، والخير كل الخير في تقريب الناصح والاستماع إليه، وإذا التبست الأمور وأشكلت، فلا يجلّيها مثل مشاورة الفهيم اللبيب.

---

[٢٧] طرفة بن العبد: ديوانه، شرح، ص٨٧. وقد نسبت هذه الأبيات إلى غيره، انظر المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة (١٣٧١هـ)، ص٢٤٧.

www.mtenback.com

وصاحب الحق يجب أن يُعطى حقه كاملاً دونما انتقاص، وعلى المتحدث أن يكون واثقًا من صحة حديثه، واعيًا له.

وربما أهلك الناس حرصهم، فماتوا دون مطامعهم. وأخيرًا فإن المظاهر خداعة، فكم من فتى تقتحمه العيون، ولا يُعبأ به، يكون ذا رأي سديد، وعقل رزين.

والتجارب تصقل عقل الإنسان، وتزيده مضاء وقوة بصيرة، قال بعضهم [٢٨]: «من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله». وقال الآخر[٢٩]: «كفى بالتجارب تأديبًا، وبتقلب الأيام عظة».

ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ لما حصلوه من الحكمة بطول التجربة. فقال بعضهم[٣٠]: «المشايخ أشجار الوقار، ومنابع الأخبار. لايطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم».

وما ذاك إلاّ لما اكتسبوه من طول التجربة من حنكة، وصحة رويّة، فقد مرّت على عيونهم وجوه العبر، وتصدت لأسماعهم آثار الغير، وقد قيل [٣١]: لاتدع الأيام جاهلاً إلا أدبته.

فالتجربة مرآة العقل، ومسنّ الفكر، وكفى عبرًا لأولي الألباب ماجربوا، قال الشاعر[٣٢]:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ العَقْـلَ زَيْـنٌ لأَهْلِـهِ وَلَكِنْ تَمامُ العَقْلِ طُـولُ التَّجَـارِبِ

---

[٢٨] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص١١.

[٢٩] المصدر السابق نفسه.

[٣٠] المصدر السابق نفسه.

[٣١] المصدر السابق، ص ١١.

[٣٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

فلا يكتمل عقل الإنسان إلاّ بالتجربة العميقة الطويلة التي تكتسب على تـــوالي السنين وكرّ الأعوام. قال الشاعر[٣٣]:

إذا طَالَ عُمْرُ المَـــرْءِ في غَـــيْرِ آفَـــةٍ أفادَتْ لَهُ الأَيَّـــامُ في كَرِّهـــا عَقْـــلا

وقد صرح كثير من الحكماء أنّهم اكتسبوا حكمهم ونظرتهم الثاقبة في الأمور، نتيجة ممارسة التجارب الطويلة، والتبصر في تقلب الأيام وصروف الدهر. مثل قس بـــن ساعدة الإيادي الذي خبر الدهرْ، وعرف تقلباته وحلب أشطره، وصاغ تجربته وخبرته حكمة سائرة في الأشعار فقال[٣٤]:

لَقَـــدْ حَلَبْـــتُ الزَّمـــانَ أَشْـــطُرَهُ ثُمَّ مَخَضْتُ الصَّرِيـــحَ مِـــنْ حَلَبِـــي

فَلَـــمْ أَرَ الفَضْـــــلَ والمعَـــالي في قَوْلِ الفَتـــى: إِنَّنِـــي مِـــنَ العَـــرَبِ

حَتَّـــى يُـــرى ســـامِيًا إِلى خُلُـــقٍ يَـــذُودُ مَحْمُـــودُهُ عَـــنِ النَّسَـــبِ

مـــايَنْفَعُ المَـــرْءُ مِـــنْ مَفَـــاخِرِهِ مِنْ فِعْـــلِ جَـــدٍ مَضَـــى وَفِعْـــلِ أَبِ

مـــا المَـــرْءُ إِلاَّ ابْـــنُ نَفْسِـــهِ فِيهـــا يُعْرَفُ عِنْـــدَ التَّحْصِيـــلِ في النُّـــوَبِ

حَتَّـــى إِذا الدَّهْـــرُ غَـــالَ مُهْجَتَـــهُ أَلْفَيْتَـــهُ تُرْبَـــةً مِـــنَ الـــتُّرَبِ

ولعل هذه المقطوعة دستور أخلاقي وإنساني رائع حيث ميز الشاعر بين الحقيقي والمزيف، واختار المعول وهو عمل المرء وعقله وكسبه، لا ما ورثه من حسب ونسب، أو خلفه له الآباء والأجداد، فما لم يكن خير الإنسان في نفسه وجبلته فلا ينفعه ما يرثه إذا لم تطوره التجارب الصالحة المقبولة والنافعة للناس.

---

[٣٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٢.

[٣٤] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والنشـــر، القاهرة، ط١ (١٩٤٦م)، ج٢، ص٢٤٥.

www.mtenback.com

وللشاعر رأي آخر إذ يستخلص حكمه وتجاربه الخاصة، وتأملاته العميقة في الحياة والكون، وحركة الزمن التي لا ترجع إلى الوراء أبداً، فيقول[٣٥]:

فِي الذَّاهِبِينِ الأَوَّلِينَ ... مِنَ القُرُوْنِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوارِدًا ... لِلمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ... يَمْضِي الأَصاغِرُ والأَكابِرْ
لاَ يَرْجِعُ الماضِي وَلا ... يَبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لاَ مَحَالَةَ ... حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ

فالتأمل الدقيق والتفكير العميق لدى الشاعر ساقه إلى النظر في مصير الإنسان وما يؤول إليه من فناء لا رجوع بعده، وهو بكل مضامين الرؤية الصائبة يجد نفسه سالكًا الطريق الذي سلكه من كان قبله لا يمكن أن يتخلف عنه أو يحيد، لكن الحكمة جاءت لتصحح الملاحظة وتعطيها بعدها الفلسفي، وتجسد دلالة خاصة في معنى الذهاب والفناء، فحيسن المرء النظر في العواقب.

ومثل تجربة قس تجربة قيس بن الخطيم الذي أملت عليه تجاربه النظر المتبصر للأمور، وعرف أن نجاح المطالب مرهون بحسن التأتي لأبوابها والتماس مداخلها فقال[٣٦]:

مَتَى مَا أَتَيْتَ الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلْ مِنَ البَابِ تَهْتَدِ

---

[٣٥] الجاحظ، أبوعثمان، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، (١٣٨١هـ) ٣٠٩/١.

[٣٦] قيس بن الخطيم: ديوانه، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، (١٩٦٢م)، ص١٣٠.

www.mtenback.com

ومن طول تجربته، وعراكه مع الزمن، وخوضه معارك الحق مع الباطل استخلص تلك الحكمة الخالدة الصادقة، فقال[٣٧]:

مَتَى ما تَقُدْ بِالبَاطِلِ الْحَقَّ يَأْبَهُ ... وَإِنْ قُدْتَ بِالحقِّ الرَّوَاسِيَ تَنْقَدِ

وحكم زهير بن أبي سلمى في معلقته، حكم شيخ جرب الحياة وسبر أغوارها، وعايش وقائع وأحداث أملت عليه حكمه، يقول [٣٨]:

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الْحَياةِ، وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِيْنَ حَوْلاً لاَ أَبَالَكَ يَسْأَمِ

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ، وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لا يُصَانِعْ فِي أُمُوْرٍ كَثِيْرةٍ ... يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

ولم يغفل لبيد بن ربيعة تجربته وما صاغت في نفسه من الحكمة وبعد النظر في تقلبات الأحوال، وقد نضجت لديه تجربة غنية بعد عمر امتد به طويلاً في الكون وتبصر في أحوال البشر ووقف على حقائق الوجود من قوة وضعف وحياة وفناء، فانثالت على لسانه حكم بالغة لا تصدر إلاّ عن تجربة طويلة وتفكر عميق فيما يحيط به، فنظم تلك الحكم عقدًا شعريًا، فقال[٣٩]:

بَلِينَا وَما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ ... وَتَبْقَى الدِّيارُ بَعْدَنَا وَالمَصَانِعُ

وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ جَارِ مُضَنَّةٍ ... فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدَ نَافِعُ

فَلا جَزَعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ

وَمَا المَرْءُ إِلاَّ كَالشِّهابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

---

[٣٧] قيس بن الخطيم: ديوانه، ص ١٣٠.

[٣٨] زهير بن أبي سلمى: ديوانه زهير، ص ٢٩-٣٠.

[٣٩] لبيد بن ربيعة العامري: ديوان لبيد، دار صادر (د.ت)، ص ٨٨-٩٠.

www.mtenback.com

وَمَا المَـــالُ وَالأَهْلُـونَ إلا وَدائِـعٌ ... وَلابُـدَّ يَوْمًـا أَنْ تُـرَدَّ الوَدائِـعُ
وَما النَّـــاسُ إلا عَـاملانِ، فَعَـامِلٌ ... يُتَـبِّرُ مـا يَبْنـي وَآخَـرُ رَافِـعُ
فَمِنْهُـم سَـعِيْدٌ آخِـذٌ بِنَصِيبِـه ... وَمِنْهُـم شَـقِيٌّ بِالمَعِيْشَـةِ قَـانِعُ
أَلَيْسَ وَرَائِـي إنْ تَرَاخَـتْ مَنِيَّتِـي ... لُزُوم العَصَا تُحْنَى عَلَيْهَـا الأَصَـابِعُ
أُخَبِّر أَخْبارَ القُـرُونِ الَّتِـي مَضَـتْ ... أَدُبُّ كَـأَنِّي كُلَّمـا قُمْـتُ رَاكِـعُ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيف أَخْلَقَ جَفْنُـهُ ... تَقَادَمَ عَهْدُ القَيْنِ والنَّصْـلُ قَـاطِعُ
فَـلا تَبْعُـدَنْ إنَّ المَنِيَّـةَ مَوْعِـدٌ ... عَلَيْنـا، فَـدانٍ لِلطُّلُـوعِ وَطَـالِعُ
أَأَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْـرُ بِـالفَتَى ... وَأَيُّ كَرِيمٍ لَـمْ تُصِبْـهُ القَـوارِعُ؟

لقد استنبط لبيد حكمه هذه من نظرة ثاقبة في رحلة الإنسان في هذا الوجـود، وأنهم جميعًا يُساقون إلى مصير واحد، لا يفلت منه أحدٌ منهم، لقد ساق هذه الحكـم في قصيدته، ليصل إلى الحكمة البالغة التي يريد أن يوطّن نفسه عليها أولاً، ثم يريد مـن الجميع أن يتمثلوها، وهي أن الجزع من الأحداث والمصائب لا يفيد شيئًا، ولا يـرد مكروهًا، ولذا فالصبر أولى بالإنسان وأجدر.

وأما مالك بن حزيم الهمذاني فيصرح أن توالي الأيام وكر الليالي أكسبته تجربة، وزادته علمًا، وأفادته حكمة، فقال[٤٠]:

أُنْبِئْـتُ وَالأَيَّـامُ ذَاتُ تَجَـارِبٍ ... وَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما لَسْـتَ تَعْلَـمُ
بِـأَنَّ ثَـرَاءَ المَـالِ يَرْفَـعُ رَبَّـهُ ... وَيُثْنِي عَلَيْـهِ الحَمْـدَ وَهْـوَ مُذَمَّـمُ
وَأَنَّ قَلِيْـلَ المَـالِ لِلْمَـرْءِ مُفْسِـدٌ ... يَحُزُّ كَمَـا حَـزَّ القَطِيـعُ المُحَـرَّمُ

---

[٤٠] المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن: شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين، وعبدالسلام هـارون، دار الجيل، بيروت ط١، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٣، ص١١٧١.

www.mtenback.com

يَرى دَرجاتِ المَجْـــدِ لا يَسْـــتَطِيعُها وَيَقْعُـــدُ وَسْـــطَ القَـــوْمِ لا يَتَكَلَّـــمُ

ومثله طرفة بن العبد، فإنه يرى أن الأيّام تزيد الإنسان علمًا، وتكسبه تجربـــة ثرية، وتمنحه عبرًا وعظات كثيرة، فيقول[٤١]:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَـــا كُنْتَ جَـــاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَـــارِ مَـــنْ لَـــمْ تُـــزَوِّدِ

فالتجارب مصدر غنيٌّ من مصادر الحكمة، ونبع ثرٌّ من منابعها الغزيرة، وكلما كثرت تجارب الإنسان وتنوعت، وكلما تعمقت تجربته في الحياة وصروفها، صحـــت رويته، وجادت قريحته، وكمل عقله، ونضج فكره، وغزر علمـــه، وازدادت بصيرتـــه نفاذًا، فينطق بالحكمة فيصوغها شعرًا، كما مرَّ معنا، أو ينظمها نثرًا ، من ذلك قـــول لقمان الحكيم[٤٢]: «ثلاثة لا يعرفون إلاّ في ثلاثة مواطن: لا يعرف الحليـــم إلا عنـــد الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة».

ومن ذلك قول علي رضي الله عنه[٤٣]: «إيّاكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم». وقال ابن السماك[٤٤]: «كـــن لهـــواك مُسَـــوِّفًا، ولعقلك مُسْعِفًا، وانظر ما تسوء عاقبته، فوطن نفسك على مجانبته، فإنّ ترك النفـــس وماتهوى داؤها، وترك ماتهوى دواؤها، فاصبر على الدواء، كما تخاف من الداء».

وقال بعض الحكماء[٤٥]: «العتاب علامة الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصد الجفاء، من كثر حقده قلّ عتابه». قال محمد بن داود[٤٦]: «من لم يعاتب على الزلـــة، فليـــس بحافظ للخلّة».

---

(٤١) طرفة بن العبد: ديوانه، ص ٥٦.

(٤٢) أبو علي القالي: الأمالي، ١٧٩/٢.

(٤٣) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٥) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: بهجة المجالس، وأنس المجالس، وشـــحذ الذهـــن والهاجس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٧٢٦.

(٤٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٢٦.

www.mtenback.com

فهذه الحكم المنثورة لم تأتِ عفو الخاطر، بل هي نتاج تجارب كثيرة وعميقة، وممارسات متنوعة، وهي ثمرة تبصر واع في الحياة وتقلباتها وممارسات الناس، وتعاملهم بعضهم مع بعض.

فبالتجارب تعرف حقائق الأمور، وتسبر أغوار الحياة، فتستخلص روائع الحكم، كما يلتقط الغواص خرائد الدرر من أعماق البحر. فكما لايفوز الغواص بدرره إلا بسبر أعماق البحار كذلك لا يحظى ببدائع الحكم إلا من حلب أشطر الدهر متبصراً متفكراً.

مصادر الحكمة:

إن الموروث الفكري والأدبي للشعوب يعدُّ مصدراً أساسيًا من مصادر الحكمة، ونبعًا لا ينضب من منابعها، يرده طالبو العلم فينهلون من نميره، ومنه يستقي الحكماء حكمهم.

وعندما نزل القرآن الكريم كان نبعًا للحكمة، ووصفت آياته بها. قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٤٧]. وقال أيضًا: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[٤٨].

ولم لا يكون كذلك، وهو: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤٩].

فالقرآن الكريم مصدرٌ عظيم من مصادر الحكمة، بل هو جامعة كبرى لتعليم الحكمة واكتسابها، فيه تخرج حكماء الإسلام، فأصبحوا مشاعل نور تشع علمًا وحكمة.

وتتجلى الحكمة في آياته بمظاهر شتى، وأساليب متنوعة. فمنها ماكان على صورة مواعظ وحكم، حيث يتكثف المعنى العظيم العميق في ألفاظ معدودة، وما

---

[٤٧] سورة يونس: الآية ١.

[٤٨] سورة هود: الآية ١.

[٤٩] سورة فصلت: الآية ٤٢.

www.mtenback.com

أكثر تلك الآيات، منها مثلاً قوله تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٥٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٥١]. وقوله: ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾[٥٢].

وقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾[٥٣]. وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[٥٤]. وقوله: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[٥٥].

ومن مظاهر الحكمة في القرآن الكريم مايتجلى في القصص القرآني من حكم ومواعظ لا حصر لها. اقرأ ما شئت من قصص القرآن قراءة تمعن وتفكر، فستجد كلّ قصة منجمًا غنيًا بالحكم البليغة، والدرر الثمينة.

ولنأخذ قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ مثلاً على ذلك. فأول ما نواجهه من حكم هو التثبت وعدم العجلة في اتخاذ القرار. فعندما لم ير سليمان عليه السلام الهدهد تساءل قائلاً: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[٥٦]. فهو لم يحكم عليه بالغياب، بل لعله كان موجودًا ولكن لم يره لسببٍ ما.

---

(٥٠) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٥١) سورة الرعد: الآية ١١.

(٥٢) سورة المائدة: الآية ١٠٠.

(٥٣) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٥٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٥٥) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٥٦) سورة النمل: الآية ٢٠.

www.mtenback.com

ثانيًا: لما تأكد من غيابه لم يصدر حكمًا مبرمًا عليه، بل وضع بدائل وهي العذاب أو الذبح أو البراءة إن جاء بعذر مقنع، وهذا العدل بعينه: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٥٧].

ثالثًا: التثبت من الأخبار، وعدم الاندفاع في تصديقها، فلما أخبره الهدهد بخبر سبأ، وهو خبر خطير جدًا على ملك سليمان، لم يتعجل، بل ظل ملتزمًا منهج التثبت، ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٥٨]. وهذا عين الحكمة.

رابعًا: تظهر الحكمة عند ملكة سبأ بالتزامها مبدأ الشورى وعدم اتخاذ أي قرار دون عقلاء قومها. وعندما فوضها قومها باتخاذ القرار المناسب بعد أن أطلعوها على مدى قوتهم وشدة بأسهم، لم تتصرف باندفاع وغرور، بل اتخذت خطوة عملية لاستطلاع حقيقة عدوها قبل الدخول معه في معركة، وهذه نهاية الحكمة وغايتها.

خامسًا: في المقارنة بين رسالتي سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، الرسالة الأولى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٥٩]. والرسالة الثانية: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٦٠].

---

[٥٧] سورة النمل: الآية ٢١.

[٥٨] سورة النمل: الآية ٢٧.

[٥٩] سورة النمل: الآيتان ٣٠-٣١.

[٦٠] سورة النمل: الآيتان ٣٦-٣٧.

www.mtenback.com

ففي المقارنة بين الرسالتين تبرز حكمة بالغة. وهي أنه لكل مقام مقال. فالبداية تقتضي رسالة فيها رقة ولين وشيء من القوة. أما النهاية فتقتضي رسالة فيها حزم وصرامة وقوة، وهكذا كانت حكمة وضع الشيء في موضعه[٦١].

فما أجدرنا أن نقبل على تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، ونقرأه قراءة وعي وتفكر وتمعن، لننهل من معينه الثر، ونكتسب حكماً بالغة لا حصر لها في مجالات الحياة كلها، الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والعسكرية.

أما السنة النبوية، فمن أعظم مصادر الحكمة، لأن الحكمة كانت تجري على لسان الرسول عليه السلام كالماء الزلال، وأفعاله وتصرفاته كانت عين الحكمة، لأنه عليه السلام ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[٦٢].

وكثير من الأحاديث الشريفة جرى مجرى الحكمة، من ذلك قوله عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٦٣]. وقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[٦٤].

وقوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»[٦٥]. وقوله: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها، فهو أحق بها»[٦٦].

---

[٦١] انظر: العمر، ناصر بن سليمان: الحكمة، دار الوطن للنشر، الرياض ط١، (١٤١٢هـ)، ص٢٩-٣٣، بتصرف شديد.

[٦٢] سورة النجم: الآية ٣.

[٦٣] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص٤٦١، رقم ٢٤٤٦.

[٦٤] المصدر السابق، ص ٢٧٨، رقم ١٤٢٧.

[٦٥] المصدر السابق، ص ١١٨٢، رقم ٦١٣٣.

[٦٦] ابن ماجة، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ج٢، ص١٣٩٥، رقم (٤١٦٩).

www.mtenback.com

وقوله: «اعقلها وتوكل»[٦٧]. ومثل هذا كثير في أقواله عليه السلام.

أما أعماله ﷺ فكلها حكمة، وتتجلى في حسن تعامله مع أصحابه، ومراعاته لأحوالهم. وكتب السيرة، تمدنا بالكثير من ذلك.

من ذلك أن بعض الصحابة، كان يسأل الرسول عن أفضل الأعمال، فكانت إجاباته لهم مختلفة، وما ذاك إلا مراعاة لحال السائلين، حيث إن ما يستطيعه السائل لا يستطيعه غيره، أو هذا يناسبه أن يقوم بعمل ما، أما ذاك فالأفضل له أن يقوم بعمل آخر من أعمال الخير الكثيرة، بما يتلاءم وحاجة الفرد وحاجة الأمة. وهي طريقة ناجحة لاستغلال الميول والقدرات واستثمارها، فإذا وجد أن الإنسان يميل بطبيعه إلى عمل من الأعمال ويرتاح بأدائه أكثر من عمل آخر فمن الحكمة أن يوجه إلى ما يقبل عليه، ليكون نتاجه بقدر حبه للعمل، وإخلاصه بقدر اهتمامه. وأي استثمار أفضل من أن يستثمر العقل البشري وأن تهيأ له سبل الإنتاج. إن هذا ما جعل الرسول ﷺ يدرك هذه الحاجة وينميها في وجدان الناس ويستدرها في أعمالهم.

وفي كلّ موقف من مواقفه ﷺ تتجلى الحكمة في أسمى معانيها، مع الأفراد ومع الوفود، في الحرب وفي السلم، وما أجدرنا أن ندرس سيرته العطرة دراسة واعية متأنية، ونقف عند كل جانب فيها ونتدبر مراميها، ونتفهم مغزاها، لنتأسى بمنهجه القويم، ونكتسب من حكمته التي ليس لها نظير لنظفر بسعادة الدارين. وصدق الله العظيم القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٦٨].

والموروثات الشعبية على مختلف أصنافها، وألوانها، من حكايات وأمثال، وأقوال وأساطير وخطب ووصايا تعدّ مصدراً ثرًّا من مصادر الحكمة.

---

[٦٧] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٤٧.

[٦٨] سورة الأحزاب: الآية ٢١.

www.mtenback.com

فزهير بن أبي سلمى يعي مثل هذه الموروثات ويستفيد منها في صياغة حكمه في معلقته، فهو يستوحي من قصة منشم وعطرها المشؤوم في تصوير آثار الحرب وفظاعتها في قضائها على الحرث والنسل، إذ لا تبقي ولا تذر، يقول[٦٩]:

تَدارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيانَ بَعْدَما تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

كما أفاد من حكاية أحمر عاد الذي عقر ناقة صالح عليه السلام، فكان شؤمًا وبلاءً على قومه. لقد أفاد من ذلك فصور الحرب بأبشع صورة وأشنعها، تجعل الجميع ينفر منها ومن أسبابها، قال[٧٠]:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرَ عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

والنابغة الذبياني يوظف حكاية زرقاء اليمامة في صوغ حكمه فيقول[٧١]:

وَاُحْكُمْ كَحُكْمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلى حَمامِ شِراعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

وقد تلهم المعتقدات الشعبية الشعراء حكمهم، كالضرب بالحصى وزجر الطير، كما جاء في قول لبيد[٧٢]:

لَعَمْرُكَ مَاتَدْرِي الضَّوارِبُ بِالحَصى وَلا زَاجِراتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

فهذه التجارب أعطت معرفة حقيقية فيما يمارس من أعمال وفيما يواجه من تصرفات، فعرف الضار والنافع وعرف الصواب والخطأ، وفحص أعمال الآخرين خلاصة تجاربهم، فانتقد ما ليس حقيقياً وأيد الصادق، ولولا تراكم الخبرة والاستفادة منها ما استطاع الناس للتمييز بين جواهر الأشياء، ولا أصبح فيهم علماء ولا حكماء.

---

[٦٩] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، ص٧٩.

[٧٠] المصدر السابق، ص ٨٢.

[٧١] النابغة الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص٣٤.

[٧٢] لبيد بن ربيعة: ديوانه، ص ٩١.

www.mtenback.com

وتعد الأمثال الشعبية ينبوعًا عظيمًا من ينابيع الحكمة، وذلك أن المثل مـــاهو إلاّ خلاصة تجربة عميقة في الحياة، ونتيجة تأمل وتبصر في تقلبات الزمن وأحوال النـــاس، فالمثل يكثف تجربة طويلة في كلمات قصيرة، تنطلق على كل لسان، وهو عصارة فكر الشعوب وثمرة ثقافتهم العملية.

وعد إلى أي مثل من تلك الأمثال المروية عن العرب، فستجده ينطـــوي علـــى حكمة بليغة، وعظة عظيمة، وتراثنا الأدبي زاخر بالأمثال، وقد اهتمت بهـــا كتـــب الأدب وأوردت منها الكثير، وأُلّفت فيها كتب مستقلة.

ومن تلك الأمثال التي جرت مجرى الحكمة. قولهم:

«ويكفيك من شر سماعه»[٧٣].

«لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك»[٧٤].

«قتل أرضًا عالمها، وقتلت أرضٌ جاهلها»[٧٥].

«شرُّ الرأي الدَّبَري»[٧٦].

«ومن العناء رياضة الهرم»[٧٧].

«لن يزال الناس بخير ماتباينوا فإذا تساووا هلكوا»[٧٨].

---

[٧٣] يضرب هذا المثل للتنزه عن الشر، انظر: الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال تحقيق: محمـــد محيـــي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (١٣٧٤هـــ/١٩٥٥م)، ج١، ص ١٩٤.

[٧٤] المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٨.

[٧٥] الزمخشري، محمود بن عمر: المستقصى من أمثال العرب، نسخة مصورة عن طبعة دائـــرة المعـــارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، (١٩٦٢م)، ج٢، ص١٨٨.

[٧٦] الرأي الدبري: هو الذي يسنح بعد فوات الأمر، انظر: الأبهري، عبيد الله بن محمد: حدائـــق الأدب، تحقيق: محمد بن سليمان السديس، ص ٢٧٥.

[٧٧] المصدر السابق، ص ٢٧٣.

[٧٨] المصدر السابق، ص ٢٥٧.

www.mtenback.com

«كل مجر في الخلا يُسر»[٧٩].

«كلُّ امرئ في بيته صبي»[٨٠].

«حيلة من لا حيلة له الصبر»[٨١].

ومثل الأمثال الشعر، وقد أفاد الشعراء من تلك الأمثال الحكيمة، فضمنوها شعرهم، ومن ذلك ما جاء في قول عمرو بن أمامة، وكانت قبيلة مراد تريد قتله، فقال مبينًا حاله، واستعداده للموت، حيث لا ينفع حذر من قدر[٨٢]:

لَقَدْ حَسَوْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ
إنَّ الجَبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ امْرِئٍ مُقاتِلٌ عَنْ طَوْقِهِ
وَالثَّوْرُ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ

فقوله: «إن الجبان حتفه من فوقه» من أمثالهم[٨٣].

ويقول طرفة بن العبد[٨٤]:

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَلْتُهُ ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُ وَاضِحَهْ
كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبارِحَهْ

---

[٧٩] أي كلّ من أجرى وحده أعجبه أمره، انظر المصدر السابق، ص ٢٥٩.

[٨٠] الميداني: مجمع الأمثال، ١٣٤/٢.

[٨١] الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١، ص ٧٠.

[٨٢] الميداني: مجمع الأمثال، ١٨/١.

[٨٣] المصدر السابق، ١٠/١.

[٨٤] طرفة بن العبد: ديوانه، ص ٣٣.

www.mtenback.com

فصدر البيت الثاني، وعجزه، كلاهما من أمثالهم: «أروغ من ثعلب» و«ما أشبه الليلة بالبارحة»[٨٥].

وقول الشماخ[٨٦]:

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيَغْنَى ... مُفَاقِرَهُ أَعَفُ مِنَ القُنُوعِ

مستمد من المثل «خير الغنى القنوع، وشرُّ الفقر الخضوع»[٨٧].

والحكايات والقصص التي تتناقلها الشعوب، وتتوارثها جيلاً عن جيل، تعد ينبوعًا آخر من ينابيع الحكمة، وفي تراثنا الأدبي العديد من مثل تلك الحكايات التي تتضمن حكمًا ومواعظ. من ذلك مثلاً قصة الأسد والثيران الثلاثة[٨٨]، فإنَّها تتضمن حكمة بالغة على مستوى الأفراد والجماعات والدول.

وكتاب كليلة ودمنة حافل بالقصص والحكايات التي قيلت على ألسنة الحيوان، وكل حكاية تنطوي على حكمة عظيمة وعظة سديدة وعبرة يستفاد منها.

وقد أفاد الشعراء قديمًا من تلك الحكايات، فضمنوها شرهم مستخلصين موضع الحكمة فيها، ومن ذلك حكاية الحية والفأس[٨٩].

وقد استلهم النابغة الذبياني منها حكمة، فقال معاتبًا بني مرة[٩٠]:

---

[٨٥] انظر الأبهري: حدائق الأدب، ص١١٦ وص٢٦٢.

[٨٦] الشماخ بن ضرار: ديوانه، شرح: أحمد أمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، القاهرة، (١٣٥٧هـ)، ص١٧٠.

[٨٧] الميداني: مجمع الأمثال، ١/ ٣٣٩.

[٨٨] شاكر، شكر هادي: الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٨٣.

[٨٩] النابغة الذبياني: ديوانه، ص١٥٤-١٥٦.

[٩٠] المصدر السابق، ص ١٥٤.

www.mtenback.com

وَإِنِّي لأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضَّغْنِ مِنْهُمُ وَمَا أَصْبَحْتَ تَشْكُو مِنَ الوَجْدِ سَاهِرَهْ
كَما لَقِيَتْ ذَاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا وَمَا انْفَكَّتِ الأَمْثَالُ فِي النَّاسِ سَائِرَهْ

وفي عصرنا الحديث ألهمت تلك الحكايات الشعبية أمير الشعراء أحمد شوقي، فنظم عدداً من القصائد على ألسنة الحيوانات، يرمي من ورائها إلى توجيهات تربوية من خلال ما تتضمنه من حكم ومواعظ[٩١] تفتق ذهن القارئ وتقرب إليه الأشياء بأشباهها وتساعد على تصور صحيح للحياة وأعبائها.

أما الشعر فهو مصدر عظيم من مصادر الحكمة، ونبع ثر من ينابيعها، فقد نالت الحكمة حظًا وافراً في الشعر على مختلف عصوره الأدبية. فما فتيء الشعراء قديمًا وحديثًا يقدمون تجربتهم الغنية في طوايا أشعارهم حين يعرضون الحياة وأحوالها، ويعبرون عن وعيهم بصروف الدهر وتقلبات الزمان حتى ظهر منهم طبقة كثرت الحكمة في أشعارهم، فكان هؤلاء يتمتعون بذكاء حاد، وثقافة عميقة، وحس دقيق، مما جعلهم أكثر نفاذًا إلى إدراك كثير من حقائق الحياة، وطبائع النفس البشرية، فصاغوا ذلك حكمًا يقولونها تعبيراً عن خبرتهم وتجاربهم وتأملاتهم العميقة لينبهوا الناس لإدراك ما حولهم من شؤون الحياة وقضايا المجتمع.

وممن كثرت الحكمة في أشعارهم زهير بن أبي سلمى، وأبو العتاهية، وصالح بن عبد القدوس، والمعري، وغيرهم كثير. وسنعرض طائفة من أشعار الحكمة أمثلة على عناية العرب واهتمامهم بمعاني الحكمة في ثقافتهم المتداولة، وكيف أفاضوا من إحساسهم وتجاربهم، وصاغوا شعراً جميلاً رائعًا يعطي الدرس الناضج للمستفيد الذي يحس بقيمة تجارب الآخرين ويستفيد منها. ومن هؤلاء عدي بن رعلاء الغساني، الذي

---

[٩١] انظر أحمد شوقي: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت ط١١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٤، ص١٢٠-١٨٦.

www.mtenback.com

يرى أنّ من لم يصن عرضه عن الهوان فإنّه يعد من الأموات وإن كان في جملة الأحياء، فيقول[٩٢]:

لَيْسَ مَنْ مَـــاتَ فَاسْـتَراحَ بِمَيْـتٍ ... إِنَّمـا المَيْـتُ مَيِّـتُ الأَحْيَـاءِ

إِنَّمـا المَيْـتُ مَـنْ يَعِيـشُ ذَلِيـلاً ... سَـيِّئًا بالُـهُ قَلِيـلَ الرَّجَـاءِ

وفي الطباع والعادات يقول ذو الإصبع العدواني[٩٣]:

كلُّ امْرِئٍ راجِـعٌ يَوْمًـا لِشِـيَمتِه ... وَإِنْ تَخَلَّـقَ أَخْلاقًـا إِلَى حِـينِ

وهو أمر مدرك مشاهد. فغلبة الطبع تظهر حتى لو حاول المرء أن يخالف طبعه ويتحمل ما ليس له سيعود حتمًا إلى سجيته وطبعه. ومن الحكمة التي أورثتها التجربة قول لبيد بن ربيعة العامري في السعي للأرزاق مع الاتكال على الله وأن الأقدار سابقة على جهد المرء فقال[٩٤]:

فَاقْنَعْ بِمـا قَسَـمَ المَلِيـكُ فَإِنَّمـا ... قَسَـمَ الخَلائِـقَ بَيْنَنـا عَلاَّمُهـا

والموت نهاية كل حيّ، والشباب والقوة زائلان لا محالة، لذا فالحكمة تقتضي ألاّ يعلق القلب بهوىً زائل. يقول عامر بن الطفيل[٩٥]:

أَلا كُلُّ ماهَبَّتْ بِـهِ الرِّيـحُ ذاهِـبُ ... وَكُلُّ فَتى بَعْـدَ السَّـلاَمةِ شـاجِبُ

---

[٩٢] الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص٢٤٤.

[٩٣] المفضل الضبي: المفضليات، ص١٦٠.

[٩٤] لبيد بن ربيعة: ديوانه، ص٣٢٠.

[٩٥] عامر بن الطفيل: ديوان عامر بن الطفيل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٤.

www.mtenback.com

والحياة الدنيا أشبه بحلم أو طيف خيال يزول سريعًا، وما البقاء فيها إلاّ كقيلولة مسافرين في ظل دوحة، سرعان ما يتفرقون. يقول أبو العتاهية[٩٦]:

مَا نَحْنُ إلاَّ كَرَكْبٍ ضمَّهُمْ سَفرٌ ... يَوْمًا إِلَى ظِلِّ فَيْءٍ ثُمَّتَ افْتَرَقُوا

ومن الحكمة التبصر في الأمور والنظر في عواقبها، وعدم الانسياق من وراء لذة عابرة أو شهوة عارمة، سيعقبها قريبًا ندمٌ طويل إذا صدقنا قول أبي العتاهية وأخذنا برأيه الذي يرى[٩٧]:

يارُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ قَدْ أَعْقَبَتْ ... مَنْ نَالَهَا حُزْنًا هُنَاكَ طَوِيلا

ولا نبعد عن مضامين زهديات أبي العتاهية حتى نقع على ملاحظاته وتقديره لما يرى بين عينيه مما يؤول إليه عمل الإنسان وجهده، وما يربى عليه الناشئة ويؤثر في مستقبلهم، حيث لا تكون إيجابيات الحياة في صالح الإنسان في كل مرة إلا إذا عرف كيف يستفيد منها. أما إن لم يكن كذلك فستكون وبالاً عليه، مثل الشباب الذي هو موضع العمل ومطلب البشر ومثل الثروة التي يسعى إليها الإنسان ويبذل في سبيل تحصيلها الغالي والنفيس لكن ذلك يحتاج إلى سياسة وتدبر وحكمة وإلا صارت هذه الإيجابيات ضياعاً على صاحبها. وقد أكدها في هذا البيت الذي أصبح يتردد على كل لسان[٩٨]:

إِنَّ الفَرَاغَ وَالشَّبَابَ وَالجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيَّ مَفْسَدَه

نعم ليس هناك ما هو أفسد للمرء من شباب وفراغ ومال وفير، إذا لم يُرَبّ تربية صالحة، ويعلم علمًا ينفعه، ويكون المال عونًا له على الخير لا عونًا عليه لإهلاكه وإذلاله.

---

[٩٦] الفيصل، شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، مطبعة جامعة دمشق (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص٢٤٩.

[٩٧] المصدر السابق، ص ٣٠٩.

[٩٨] المصدر السابق، ص ٤٤٨.

www.mtenback.com

وفي مكارم الأخلاق حكم كثيرة. فذا عمرو بن الأهتم يوصي ابنه ربعيًا، مبينًا له أن المجد مسلكه صعب وعر، وثمنه غال، هو النفس أو المال، وكلاهما عزيز على المرء وهما مما يضن به. ويوصيه بإكرام الضيف، وبالتحلّي بالأخلاق الحميدة، وانتهاج السلوك القويم في طلب المعالي، فلا خيانة ولا إثم. حيث يقول[٩٩]:

وَإِنَّ المَجْدَ أَوَّلُهُ وُعُورٌ ... وَمَصْدَرُ غِبِّهِ كَرَمٌ وَخَيرُ
وَإِنَّكَ لَنْ تَنالَ المَجْدَ حَتَّى ... تَجودَ بِما يَضِنُّ بِهِ الضَّمِيرُ
بِنَفْسِكَ أَوْ بِمالِكَ فِي أُمُورٍ ... يَهابُ رُكُوبَها الوَرِعُ الدَّثُورُ
وَجارِي لا تُهِينَنْهُ وَضَيْفِي ... إِذا أَمْسى وَراءَ البَيْتِ كُورُ

ويقول النابغة الجعدي[١٠٠]:

خَلِيلَيَّ غُضَّا ساعَةً وَتَهَجَّرا ... وَلُوْما عَلَى ما أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرا
وَلا تَجْزَعا إِنَّ الحَياةَ ذَمِيمَةٌ ... فَخِفًّا لَرَوْعاتِ الحَوادِثَ أَوْ قِرا
وَإِنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطِيقانِ دَفْعَهُ ... فَلا تَجْزَعا مِمَّا قَضى اللهُ وَاصْبِرا
أَلَمْ تَرَيا أَنَّ المَلامَةَ نَفْعُها ... قَلِيلٌ إِذا ما الشَّيْءُ وَلَّى وَأَدْبَرا
تَهِيجُ البُكاءَ وَالنَّدامَةَ ثُمَّ لا ... تُغَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ ما كانَ قُدِّرا

فالجزع لا يغير شيئًا، ولا يدفع حوادث الدهر، والملامة لا تجدي نفعًا. فليس أمام المرء إلا الرضا بقضاء الله تعالى وقدره والتسليم والامتثال لمشيئته، والصبر على صروف الدهر وتقلبات الزمن.

---

[٩٩] المفضل الضبي: المفضليات، ص ٤١٠.

[١٠٠] النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله: شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي، ط١ (د.ت)، ص٦٠-٦١.

www.mtenback.com

والموت واحد، تستوي فيه عظائم الأمور وصغائرها، فإن رمت فلا ترم إلا معالي الأمور وفي ذلك يقول المتنبي[١٠١]:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومٍ فَلا تَقْنَعْ بِما دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ المَوْتِ في أَمْرٍ حَقيرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ في أَمْرٍ عَظيمِ

وكلُّ إنسان يتصرف حسب معدنه، والعاقل يعامل كل إنسان بما يلزمه، ويحتاط في معاملته حتى تعبر عن حكمته وخلقه، ومعرفته بأمور الناس واختلاف طباعهم فيعطي كل امرئ ما يستحق من المعاملة وإن لم يفعل ذلك خطأ الصواب وجلب الضرر لنفسه ولمن يعيش معه أو يتصل به، ولا يستطيع الإنسان ذلك إلا إذا خبر الناس واستفاد من تجارب الآخرين وأخذ بنصائحهم ووضع ميزانًا للتعامل مع كل فرد بما يناسبه. وهذا هو رأي أبي الطيب حين يقول[١٠٢]:

إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدا

وإذا كان المعدن شريفًا كلّف صاحبه غاليًا، ثمن تحلّيه بالمكارم والمعالي. والشريف يتحمل ذلك في رضا وعلو همة، لما يعلم من سمّو غايته. يقول أبو الطيب أيضاً[١٠٣]:

تَلَذُّ لَهُ المُروءَةُ وَهْيَ تُؤْذي وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الغَرامُ

وله أيضاً[١٠٤]:

وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنا بِدُنْيانا الطَّغامُ

---

[١٠١] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت ١١٩/٤.

[١٠٢] المصدر السابق، ٢٨٨/١.

[١٠٣] المصدر السابق، ج ٧٥/٤.

[١٠٤] المصدر السابق، ج ٧١/٤.

www.mtenback.com

وكذلك [١٠٥] من كلامه الذي صار حكمة متداولة:

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الماءَ الزُّلالا

ومعدن الرجولة والكرامة صقيلٌ نفيس، لا يحتمل الذلَّ ولو مرةً واحدة. فالذل يستتبعَ الذل، فإذا النخوة قد ضاعت، والمروءة قد ماتت. يقول المتنبي[١٠٦]:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوانُ عَلَيْهِ ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلامُ

ومن روائعه [١٠٧]:

لا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الكَفَنِ

ومن الضروريّ أن يعي المرء كلَّ طريق، وغاية كل درب، وهذا شأن كل حكيم، فكم من مسلك سوء كانت فاتحته حلوةً ناعمة الملمس. يقول[١٠٨]:

وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُه دَلالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مَوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ

وكل شعر أبي الطيب أو أكثره وصف في دخائل النفس البشرية ودراسة علمية لخلجات الفؤاد وما يعتلج في ذات البشر، حتى صار شعره حكمة تنبئ عن خطرات نفوسهم وكأنه عالم نفسي. ولو تتبعنا لمحاته عن الإنسان وعن الذات لطال بنا الحديث. ومثله في بعد النظر وعمق التجربة الإنسانية والحكمة أبو العلاء الذي يرى أنه لا يدوم عزٌّ ولا جاه، بل هما إلى زوال، فإذا النعيم بؤس دائم، وعلى العاقل ألاّ يغترَّ بمتاع الدنيا المقبل عليه. وفي ذلك يقول[١٠٩]:

---

[١٠٥] المتنبي: ديوانه، ج٣/٢٢٨.

[١٠٦] المصدر السابق، ج٤/٩٤.

[١٠٧] المصدر السابق، ج٤/٢١٣.

[١٠٨] المصدر السابق، ج١/٨١.

[١٠٩] أبو العلاء المعري: لزوم ما يلزم، شرح: نديم عدي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص ٤٠.

www.mtenback.com

فَلا تَغُرَّنَّكَ شُمٌّ مِنْ جِبالِهِمُ وَعِزَّةٌ في زَمَانِ المُلْكِ قَعْسَاءُ
نَالوا قَلِيلاً مِنَ اللَّذَّاتِ وارْتَحَلُوا بِرَغْمِهِمُ، فَإِذَا النَّعْمَاءُ بَأْسَاءُ

ومن مصادر الحكمة ما أثر عن السلف من أقوال منثورة، تلخص تجربة طويلة في الحياة. وكتب التراث حافلة بمثل تلك الأقوال التي تجري مجرى الحكمة. من ذلك ماجاء في كتاب الأمالي[١١٠]: «لاتجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكًا، وإذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا»، فالعلم من دون عمل لا جدوى منه.

وفي الأمالي أيضًا نجد[١١١]: «من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعًا: من كان جوادًا لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة - أي المحبة ورضا الناس - ومن كان صدوقًا لم يعدم القبول، ومن كان شكورًا لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفًا لم يعدم العافية، ومن كان متواضعًا لم يعدم الكرامة».

وقال بعض الحكماء[١١٢]: «رأس المداراة ترك المماراة».

نعم من أراد أن يداري الناس، فليترك الشك، وليحسن الظن بهم.

وقال عمر بن عبدالعزيز[١١٣]: «ما قرن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، ومن عفو إلى مقدرة».

---

[١١٠] أبو علي القالي: الأمالي، ٢/٧.

[١١١] المصدر السابق، ٢/٣٧.

[١١٢] القرطبي: بهجة المجالس، ٢/٦٦٣.

[١١٣] أبو علي القالي: الأمالي، ١/١٧٩.

www.mtenback.com

ومن حكم الأحنف بن قيس[١١٤]: «ما نازعني أحدٌ إلاّ أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال، إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه».

وهذا غاية الحلم والحكمة وبعد النظر الذي يقرر طبيعة التعامل المثالي مع الآخرين.

ومن درره أيضًا قوله[١١٥]: «الكذوب لا حيلة له، والحسود لا راحة له، والبخيل لا مروءة له، والملول لا وفاء له، ولا يسود سيئ الأخلاق، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلك ويتجمل».

ومثل هذه الحكم لا تصدر إلاّ من رجل خبر الناس، وعلم دخائلهم، ونهل من ينابيع الفهم وبحر المعرفة، ومرسته التجارب، وقد كانت الحكمة في مأثور العرب تدل على وعيهم الوعي الصحيح لسلوك الناس ولأخلاقهم، ومعرفة الباعث النفسي الذي يحرك الإنسان ويؤثر في تصرفاته.

وممن كان ينطق بالحكمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد رويت له حكم سديدة، منها قوله[١١٦]: «من حلم ساد، ومن ساد استفاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه، عمي عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً وقع فيه».

ومن حكمه البليغة قوله[١١٧]: «إيّاكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل

---

[١١٤] القرطبي: بهجة المجالس، ٢/٦٠٦.

[١١٥] المصدر السابق نفسه.

[١١٦] نذير حمدان: حكمة القرآن والحضارة، دار الكلم الطيب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (١٩٩٥م) ط١، ص ١٨٥.

[١١٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٩.

www.mtenback.com

والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت» ولا أظن هناك أصدق من هذه الحكم ولا أدلّ من تجاربها فما يسوق الناس ويحكم فيهم غير هاتين الخصلتين الرغبة والرهبة.

ومثل هذا القول لا يصدر إلاّ عن رجل عالم ببواطن النفس البشرية ورغباتها وأهوائها يحلل نوازعها ويعرف ميولها ويستقرئ آثار الطبيعة البشرية في تصرفات الناس.

ومن حكمه أيضًا تفضيله العلم على المال، قال[118]: «العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه. مات خزان المال، وبقي خزّان العلم،أعيانهم مفقودة، وأشخاصهم في القلوب موجودة».

ومن أشهر الحكماء لقمان الذي أوتي الحكمة من العزيز الحكيم. فقال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[119]، فالحكمة التي أوتيها لقمان إنما هي الإصابة في القول، والسداد في الرأي، والنطق بما يوافق الحق.

ولقمان كان عبدًا ذا فكر وعقل وذكاء، وكان حسن اليقين، أحبّ الله، فأحبه، فمنّ عليه بالحكمة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[120].

وقد ذكر القرآن شيئًا من حكمه في سورة لقمان، وهي حكم في غاية الحق والسداد. ومما يروى من حكمه الحكمة التالية التي يوصي بها ابنه: «اغلب غضبك بحلمك، ونزقك بوقارك، وهواك بتقواك، وشكك بيقينك، وباطلك بحقك، وشحك

---

[118] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٨.

[119] سورة لقمان: الآية ١٢

[120] سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

www.mtenback.com

بمعروفك، كن في الشدة وقوراً، وفي المكاره صبوراً، وفي الرخاء شكوراً، وفي الصلاة متخشعًا، وإلى الصدقة متسرعًا، لا تهن من أطاع الله، ولا تكرم من عصى الله، ولا تدع ما ليس لك، ولا تجحد ما عليك، ولا تعترض بالباطل، ولا تستح من الحق، ولا تقل ما لا تعلم، ولا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعظم ولا تختال ولا تفخر، ولا تضجر، ولا تقطع الرحم ولا تبلين الجار، ولا تشمت بالمصائب، ولا تذع السر، ولا تغتب، ولا تحسد، ولا تنبز، ولا تهمز، وإن أسيء إليك فاغفر، وإن أُحسن إليك فاشكر، وإن ابتليت فاصبر. احفظ العبر، واحذر الغير، انصح المؤمنين، وعُدْ مرضاهم، واشهد جنائزهم، وأعن فقراءهم، واقرض خلطاءهم، وأنظر غرماءك، والزم بيتك، واقنع بقوتك، وتخلّق بأخلاق الكرام واجتنب أخلاق اللئام، اعلم يا بني أن المقام في الدنيا قليل والركون إليها غرور، والغبطة فيها حلم، فكن سمحًا سهلاً، قريبًا، أمينًا، اتق الله في جميع أحوالك، ولا تعصه في شيء من أمورك».

فكل ما جاء في هذه الوصية حكم بالغة. وعظات عظيمة، فما كان الحلم والوقار في شيء إلا زانه، والتقوى أساس كل شيء، لأن: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[121]، والمعروف يجلب الحمد، والشح يجلب الذم. وفي الصبر على المكاره أجر عظيم، لأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[122]، وبالشكر تدوم النعم، ويزداد الخير وينمو. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[123]، والخشوع في الصلاة تذلل لرب العباد، والإسراع في الصدقة يمحو الذنوب كما يُطفيء الماء النار.

---

[121] سورة الطلاق: الآية ٢

[122] سورة الزمر: الآية ١٠

[123] سورة إبراهيم: الآية ٧.

www.mtenback.com

ومن أطاع الله لا يهان، لأن الله أكرمه، والعاصي لا يكرم، لأن الله أهانه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾[١٢٤]، ولا تدّع ما ليس لك فيه حق، فهي دعوة باطلة، وقل الحق مهما كان صعباً ولا تستح، فإن الله لا يستحي من الحق. ولا تتكلف ما لا تطيق، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١٢٥].

ولا عظمة ولا خيلاء ولا تفاخر، فهذا مما يمقته الله، ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٢٦].

وصلة الرحم لا يقوم بها ويحافظ عليها إلا من وفق لعمل الخير واتصفت أعماله بالإحسان والبر بالأهل، ولا سيما إن كانوا من أهل الحاجة، فالحكمة تقتضي أن يتمسك الناس بالعلاقات الحسنة بينهم، فهذه تكون الروباط الراقية في التعامل والاتصال.

مقومات الحكمة:

للحكمة مقومات لا تتحقق إلاّ بها، ولا يكون الإنسان حكيماً إلا إذا توافرت فيه جملة من الصفات والمؤهلات، ويأتي على رأس تلك المقومات العقل، فبه تعقل الأمور، وبه ينظر في العواقب، وبه يهتدى إلى الهدى. وقد قيل[١٢٧]: «العقل وزير رشيد، وظهير سعيد، من أطاعه أنجاه، ومن عصاه أرداه». فبالعقل تعرف حقائق الأمور، ويفصل بين الخير والشر. ومن مقومات الحكمة الذكاء، لأنه بالذكاء يستطيع كل أحد أن يقدر الأشياء قبل وقوعها، وهذه غاية الحكمة، قال أوس بن حجر يصف ذكياً[١٢٨]:

---

[١٢٤] سورة الحج: الآية ١٨.

[١٢٥] سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

[١٢٦] سورة لقمان: الآية ١٨.

[١٢٧] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، شرحه وعلق عليه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ١/٣٩٤.

[١٢٨] أوس بن حجر: ديوان أوس، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ط٢ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٥٣.

www.mtenback.com

اَلأَلْمَعِيّ الذِي يَظُــنّ لَــكَ الظَّنْــ نَ كَــأَنْ قَــدْ رَأَى وَقَــدْ سَــمِعا

ومنها الزهد في حطام الدنيا والزهد في فضول الكلام، قال ﷺ[129]: «إذا رأيتم الرجل قد أُعطي زهدًا في الدنيا، وقلة منطق، فاقتربوا منه، فإنَّه يلقى الحكمة» وقلة المنطق هنا إطالة الصمت، وذلك أن إطالة الصمت تدعو إلى التفكّر الذي هو سبيل الحكمة ورسولها.

ومنها أيضًا التروي والتأني والتمهّل في معالجة المسائل، لأن في العجلة وعدم التثبّت مزالق كثيرة، ومهاوٍ خطيرة وهذه ضد الحكمة. قال أبو عبدالله المعصومي[130]: «دأب الحكيم روية في الجواب بعد استيعاب الفهم، بل عدّ مَن تكلّم بغير رويّة غير إنسان».

وقد أجمل الفارابي مقومات الحكمة، فقال[131]: «ينبغي لمن أراد الشروع في علم الحكمة أن يكون شابًا صحيح المزاج، متأدبًا بآداب الأخيار، تعلم القرآن واللغة، وعلم الشرع، ويكون صيِّنًا عفيفًا، متحرمًا صدوقًا، معرضًا عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة، ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه، مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية، غير مخل بركن من أركان الشريعة، ولا بأدب من آداب السنة، وأن يكون معظّمًا للعلم والعلماء، ولم يكن عنده لشيء قدرٌ إلاّ للعلم وأهله، ولا يتخذ علمه من جملة الحرف والمكاسب، وآلة لكسب الأموال، ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور متبهرج، فكما أن الزور لا يعد من الكلام الرصين، ولا التبهرج من النقود، فكذلك من كانت أخلاقه خلاف ما ذكر، لا يعد من جملة الحكماء».

---

(129) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ج٢، ص ١٣٧٣ رقم (٤١٠١).

(130) نذير حمدان: حكمة القرآن، ص ١٧٠.

(131) المصدر السابق، ص ١٦٩.

www.mtenback.com

وسائل اكتساب الحكمة:

للحكمة وسائل وسبل لاكتسابها ونيلها، ولعل أهم تلك الوسائل والسبل إخلاص العبادة لله. وقد ورد في الحديث[١٣٢]: «من أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وقال الحسن: «من أحسن العبادة في شبيبته لقّاه الله الحكمة في سنه».

ومن وسائلها مصاحبة الحكماء ومجالسة الصالحين والعلماء، لأن في طول مصاحبتهم والاستماع إليهم، تشبهًا بهم واقتباسًا من علمهم وحكمتهم. قال عامر بن الظرب: «إنيّ لم أكن حكيمًا حتى صاحبت الحكماء».

وهذا حق لاريب فيه، لأن في مجالسة العلماء تحصيلاً للعلم، والعلم من أهم وسائل اكتساب الحكمة، لأن به تعرف حقائق الأمور وتتكشف أسرارها، فالعلم نور يكشف أستار الحقائق، فتتجلى واضحة للعلماء وهذه غاية الحكمة.

والتفقه في الدين يعد من أهم وسائل اكتساب الحكمة، بل هو أبرزها وأنجعها، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام[١٣٣]: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

والتجارب وسيلة ناجعة من وسائل اكتسابها، لأن التجارب تصقل عقل الإنسان، وتعطيه خبرة كبيرة في معرفة حقائق الأمور. قال معاوية بن أبي سفيان:[١٣٤] «لاحكيم إلا ذو تجربة».

---

[١٣٢] المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، تحقيق: محمد علي قطب، دار القلم، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ج١، ص٤٧.

[١٣٣] البخاري: صحيح البخاري، ص٣٩ رقم (٧١).

[١٣٤] المصدر السابق نفسه، ص ١١٨٢.

www.mtenback.com

وقد تكون الحكمة توفيقًا من الله تعالى، فالحكمة مطلب عزيز وغاية سامية، ومقام رفيع، ولذا فمنالها دونه خرط القتاد، وهي مع بذل الأسباب السابقة، وتوافر المقومات السالفة، فضل من الله ونعمة، يخص بها عباده المخلصين.

ولهذا دعا الرسول عليه السلام لابن عمه عبد الله بن عباس أن يؤتيه الله الحكمة، فقال: «اللهمّ علّمه الحكمة»[١٣٥].

أقسام الحكمة:

يقسم بعض الباحثين الحكمة إلى نوعين:حكمة علمية وحكمة عملية.

فالحكمة العلمية هي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا[١٣٦].

والعملية هي وضع الشيء في موضعه، وهي على ثلاث درجات[١٣٧]:

الدرجة الأولى: إعطاء كل شيء حقه، ولاتعدّيه حدّه، ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره.

الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه.

الدرجة الثالثة: بلوغ البصيرة في الاستدلال، أي الوصول بالاستدلال إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر.

أثر الحكمة في الفرد والمجتمع:

للحكمة أثر بالغ في حياة الفرد والجماعة، وخيرها عميم، سريع الانتشار، واضح الأثر، فمن آثارها إنارة القلوب. يقول علي بن أبي طالب مخاطبًا ابنه الحسن

---

[١٣٥] البخاري: صحيح البخاري، ص٧١٦ رقم (٣٧٥٦).

[١٣٦] العمر: الحكمة، ص٢٥.

[١٣٧] المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦.

www.mtenback.com

رضي الله عنهما[١٣٨]: «أحي قلبك بالموعظة ونور الحكمة». وفي وصية لقمان لابنه[١٣٩]: «إن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء».

بل إنّ طرائف الحكمة تروح عن القلوب، وتبث فيها النشاط. قال علي رضي الله عنه[١٤٠]: «إنّ هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة».

ومن آثارها الاستفادة من تجارب الآخرين، والاعتبار بها، وأخذ الموعظة منها، واتخاذ الحذر والحيطة مما يشبهها ويماثلها، حتى لا يقع المرء فيما وقع فيه الآخرون.

والحكمة وسيلة ناجعة في الدعوة إلى الله وسبيل إلى إصلاح المجتمع.

ولأثر الحكمة في النفوس، فإن الله لم يقيدها بوصف الاستحسان، كما قيد به الموعظة، ذلك أن الحكمة محلها حسنة. وأثرها بالغ في النفوس، فبها يظهر الحق، لأنها تحسن عرضه، وتقدم الحجج المقنعة، فتجذب الناس إليه، وتقدم الحكمة على الموعظة الحسنة، وما ذاك إلا لأثرها العظيم في النفوس وفوائدها الجمة في طريق الدعوة إلى المنهج القويم.

فلا سبيل لإصلاح الأفراد والمجتمعات إلا بالحكمة، فهي الوسيلة الناجعة في التوعية والتوجيه، والقضاء على الفساد والأمراض الاجتماعية، فكل قضية إصلاحية تعرض بحكمة تجد من يتقبلها، ويأخذ بها، بل يتبناها ويحاول نشرها بين أصحابه ومجتمعه الصغير، فترقى المجتمعات وتتقدم، ويقضى على الفساد والفتن والبدع.

موضوعات الحكمة:

موضوعات الحكمة كثيرة ومتعددة تشمل جوانب الحياة كلها، الاجتماعية والتربوية والخلقية والنفسية والسلوكية، وقد تطرق الحكماء على مر العصور إلى هذه

---

[١٣٨] نذير حمدان: حكمة القرآن والحضارة، ص١٦٨.

[١٣٩] المصدر السابق نفسه.

[١٤٠] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

الموضوعات كافة، ولهم فيها حكم بالغة وأقوال سديدة، فيها العبرة والعظة، وهذه الموضوعات وما تفرع منها كثيرة لأن الحكمة تدخل في عمل الإنسان وفي قوله، وتعبر عنها تصرفاته وآراؤه. وفي كل عمل يقوم به المرء يصير جانب منه مرادًا للحكمة وموضوعًا لها.

ولا شك أن للكلمة أثرًا خطيرًا ودورًا عظيمًا في حياة الفرد والمجتمع، ولذلك فكل كلمة تصدر من الإنسان تحسب له أو عليه. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٤١]. وهو تنبيه لكل عاقل مكلف أن يضبط لسانه وقلبه وفعله. وفي الحديث[١٤٢]: «هل يكب الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم».

ولما للكلمة من هذا الأثر الخطير، فإن الحكماء تناولوا موضوع القول والصمت، فتكلموا عن كثرة القول وقلته، وعواقب عثرات اللسان وزلاته، وبينوا مواضع الصمت ومحاسنه، ولهذا دعوا إلى وزن الكلام قبل النطق به. يقول صالح بن عبد القدوس[١٤٣]:

وَزِنِ الكَلامَ إِذا نَطَقْتَ فَإِنَّما ... يُبْدِي عُيوبَ ذَوِي العُقُولِ المَنْطِقُ

والقول ذو خطل ما لم يحكمه العقل. يقول أحيحة بن الجلاح[١٤٤]:

وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذا ... مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُه

---

[١٤١] سورة ق: الآية ١٨.

[١٤٢] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣١٤-١٣١٥، رقم (٣٩٧٣).

[١٤٣] الشافعي، أحمد بن إبراهيم: جواهر الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٢٧.

[١٤٤] أحيحة بن الجلاح: ديوان أحيحة، جمع وتحقيق: حسن محمد جودة، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٨٣.

www.mtenback.com

ويقول طرفة[١٤٥]:

وَإِنَّ لِسانَ المَرْءِ ما لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصاةٌ عَلَى عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ

فأهم ما يجب أن تغشاه الحكمة وتنيره البصيرة هو الكلام، لمكانته من الناس ولما له من أثر في التعامل معهم. وقد مثّل القرآن الكريم للكلم الطيب بالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ارتفاعًا وبسوقًا ومنظراً أخضر سارًا للأنظار، ومثل لتمرتها بأنها كل حين لا تتوقف في موسم من المواسم، وليس لها شتاء ولا صيف، بل هي كل حين مثمرة مؤتية لأكلها وأكد على الكلام الطيب أن جعله أصلاً ثابتًا يغوص في أعمال النفس ويستقر في وجدانها وترتفع ثمرته وأغصانه عالية بينة تظل أهلها بظلالها الوارف وظلها البارد، وتلك أجمل صورة وأحسن تمثيل وزنة الكلام سمة الحكماء، فليس من دأبهم إطلاق الكلام قبل التدبر فيه. يقول عبد الله بن معاوية[١٤٦]:

وَلا تَذْكُرِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ حَدِيثًا إِذا أَنْتَ لَمْ تُحْصِهِ

ولما كان للقول هذا الخطر العظيم، فعلى العاقل أن يحترز من زلله بالإمساك عنه، أو بالإقلال منه، لأنه لا يقدر على ردّ شوارده، ولا يمكن استرجاع بوادره. ولذلك فالحكمة في الصمت، قال بعض الحكماء[١٤٧]: «الزم الصمت تعد حكيمًا، جاهلاً كنت أو عالمًا». وقال آخر[١٤٨]: «الزم الصمت، فإنّه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار». ولهذا كلّه طلبوا

---

(١٤٥) طرفة بن العبد: ديوانه، ص ١١٤.

(١٤٦) عبد الله بن معاوية: شعر عبد الله بن معاوية، جمع عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة بغداد، (١٩٧٥م)، ص٥١.

(١٤٧) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٠٢.

(١٤٨) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

www.mtenback.com

من العاقل ألا يتكلم إلا عند الضرورة. قال أحدهم[١٤٩]: «اعقل لسانك إلاّ عن حـــقّ توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها».

فلا خير في كثرة الكلام، فهي ضرب من السخافة، وفضول الكلام شر. قال أبو العتاهية[١٥٠]:

أَلا إِنَّ بَعْـــدَ الذُّخْـــرِ ذُخْـــرًا تُنيلُـــهُ وَشَـــرٌّ كَـــلامِ القـــائِلينَ فُضُولُـــــه

فكثرة الكلام مذمومة، وقلته محمودة، بل قلته تعد من فقه الرجل. قـــال أبـــو الدرداء[١٥١]: «من فقه الرجل قلة كلامه فيما لايعنيه». وقلة الكلام من تمام العقـــل، قال بعض الحكماء[١٥٢]: «إذا تمَّ العقل نقص الكلام». ونقص الكلام لعله الحكمة التي تمنع من البذر والتزيد.

فاللسان خطير، وربما قتل صاحبه، يقول الشاعر[١٥٣]:

لِسانُ الفَتى حَتَفُ الفَتى حِينَ يَجْهَـــلُ وَكُلُّ امْـــرِئٍ مـــابَيْنَ فَكَّيْـــهِ مَقْتَـــلُ

إِذا ما لِســـانُ المَـــرْءِ أَكْـــثَرَ هَـــذرُهُ فَـــذاكَ لِســـانٌ بِـــالبَلاءِ مُوَكَّـــــلُ

وعثرة اللسان أخطر من عثرة القدم، لأن عثرة القدم تبرأ، أما عثرة اللسان فإنها تميت. قال الآخر[١٥٤]:

يَمُوتُ الفَتى مِـــنْ عَـــثْرَةٍ بِلِســـانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْـــلِ

---

[١٤٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٣.

[١٥٠] أبو العتاهية: ديوانه، ص ٢٣١.

[١٥١] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٨٤.

[١٥٢] المصدر السابق، ج١، ص ٨٧.

[١٥٣] المصدر السابق، ص٨٦.

[١٥٤] المصدر السابق، ج١، ص٨٨.

www.mtenback.com

فَعَثْرَتُـهُ مِـنْ فِيـهِ تَرْمِـي بِرَأْسِـهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَى عَلَـى مَهْـلِ

ولهذا دعا الحكماء إلى صون اللسان وحفظه، قال الشاعر[١٥٥]:

احفظ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِـنْ لَفْظِـهِ فَـالمَرْءُ يَسْـلَمُ بِاللِّسَـانِ وَيَعْطَـبُ

فالصمت خير من كلام يورث ندمًا، قال الشاعر[١٥٦]:

إِنْ عَابَنِي عَائِبٌ بِالصَّمْتِ قُلْتُ لَـهُ حَبْسُ الفَتى نُطْقَهُ خَيْرٌ مِـنَ النَّـدمَ

وفي الصمت نجاة من الزلل، يقول الطغرائي: [١٥٧]

وَياخَبِـيرًا عَلَـى الأَسْـرارِ مُطَّلِعًـا اصْمُتْ فَفِي الصَّمْتِ مَنْجاةٌ مِنْ الزَّلَلِ

ويوضح عبد الله بن معاوية متى يتكلم المرء ومتى يصمت، وقد أجاد في ذلك إذ يقول[١٥٨]:

أَيُّهـا المَـرْءُ لا تَقُولَـنَّ قَـوْلاً لَسْتَ تَدْرِي مـاذا يُصِيبُـكَ مِنْـهُ
وَالْزَمِ الصَّمْتَ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا وَإِذا أَنْـتَ قُلْـتَ قَـوْلاً فَزِنْـهُ
وَإِذا القَـوْمُ أَلْغَطُـوا فِـي كَـلامٍ لَسْـتَ تُعْنَـى بِشَـأْنِهِ فَالْـهُ عَنْـهُ

وكلام المرء مرآة فؤاده وانعكاس عقله وفهمه. ولعل أصدق وصـف لحكمـة الكلام ووزنه والتأني فيه قول الشاعر[١٥٩]:

وَكائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِـبٍ زِيادَتُـهُ أَوْ نَقْصُـهُ فِـي التَّكَلُّـمِ

---

[١٥٥] الهاشمي، جواهر الأدب، ج٢، ص٤٢٩.

[١٥٦] القرطبي: بهجة المجالس، ص ٨٣.

[١٥٧] الطغرائي، الحسين بن علي: ديوانه، تحقيق: علي جواد الطاهر، يحيى الجبوري، دار العلم ، الكويـت، (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٣٩٤.

[١٥٨] عبد الله بن معاوية: ديوانه، ص ٨٣ ,

[١٥٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٣.

www.mtenback.com

لِسانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْـــفٌ فُـــؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُورَةُ اللَّحْـــمِ وَالـــدَّمِ

الحكمة والجود والسخاء:

الجود من مكارم الأخلاق التي يحرص العربي على التخلق بها، والسخاء خلـــق محمود، ندب إليه الإسلام وحض عليه. قال عز وجل: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[١٦٠]. وذم البخل ونهى عنه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[١٦١].

وفي الحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[١٦٢].

ولذلك دعا الحكماء والشعراء إلى الكرم والجود وذموا البخل، قال ابن عبـــاس رضي الله عنهما: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء»[١٦٣]. وقال حكيم[١٦٤]: «الجود حارس الأعراض».

وهذا واقعٌ مشاهد فأصحاب الكرم والجود يتسنمون ذرا المجد، ويحتلون مكانًـــا مرموقًا بين أفراد مجتمعهم، وكم من جوادٍ صَانَ عِرْضَهُ بِكَرَمِهِ وَبَذْلِهِ. بينمـــا البخيـــل

---

[١٦٠] سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

[١٦١] سورة الليل: الآية ٨-١١.

[١٦٢] البخاري: صحيح البخاري، ص ٢٨٠ رقم (١٤٤٢).

[١٦٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٣٤.

[١٦٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

منبوذ مذموم حتى من أقرب الناس إليه. قال حكيم[١٦٥]: «جود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده».

وفي هذا المعنى يقول صالح بن عبد القدوس: [١٦٦]

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخاؤُهُ

تَغَطَّ بِأَثْوابِ السَّخاءِ فَإِنَّنِي ... أَرى كُلَّ عَيْبٍ وَالسَّخاءُ غِطاؤُهُ

فإنفاق المال، وبذله ستر لعيوب المرء، والكرم لا يضيع الأموال هدرًا كما يبدو ظاهره، لأنه يورّث الحمد والفعل الجميل لصاحبه، وإنما البخل هو الذي يضيع الأموال، لأنه لا يكسب صاحبه حمدًا بين الناس، قال الشاعر[١٦٧]:

وَما ضاعَ مالٌ وَرَّثَ الحَمْدَ أَهْلَهُ ... وَلَكِنَّ أَمْوالَ البَخِيلِ تَضِيعُ

وأفضل الكرم ما ابتدأ به الإنسان من غير سؤال. سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن السخاء، فقال[١٦٨]: «ما كان منه ابتداء، فأما ماكان عن مسألة فحياء وتكرُّم»[١٦٩]. وقال بعض الحكماء[١٧٠]: أجلُّ النوال، ما وصل قبل السؤال، ومروءة العاقل تزجره عن السؤال وذلّه، وفطنة اللبيب وحكمته تدفعه لمعونته قبل سؤاله. قال الشاعر[١٧١]:

---

[١٦٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٣٤

[١٦٦] المصدر السابق، ص ١٣٤.

[١٦٧] المصدر السابق، ص ١٣٧.

[١٦٨] المصدر السابق نفسه.

[١٦٩] المصدر السابق نفسه.

[١٧٠] المصدر السابق نفسه.

[١٧١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وَفَتــــىً خَـــلا مِـــنْ مَالِـــهِ وَمِـــنَ المُـــرُوءَةِ غَـــيْرُ خَـــالِ
أَعْطَـــاكَ قَبْـــلَ سُـــؤَالِهِ فَكَفَـــاكَ مُكْـــرُوهَ السُّـــؤَالِ

وبالإحسان والجود يستميل الإنسان، قلوب الناس ويكسب ودهم. أما البخل فينفر الإخوان والأصدقاء. يقول أبو الفتح البستي[١٧٢]:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْـتَعْبِدْ قُلُوبَهُـمْ فَطَالَمَا اسْـتَعْبَدَ الإِنْسَـانَ إِحْسَـانُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَّاعًـا فَلَيْـسَ لَـهُ عَلَـى الحَقِيقَـةِ خِـلانٌ وَأَخْـدانُ

ولأن الحكمة تسوق المرء إلى الفضائل، وتدفعه لعمل مـا يقي عرضه ويحسـن ذكره، ويرفع من شأنه فإن إنفاقه، وعطاءه حين يعطي يتصف بالحكمة، حيث يضعـه في موضعه ويحسن به. وقد وصف زهير بن أبي سلمى هذا الحال بقوله[١٧٣]:

وَمَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَـلْ بِفَضْلِـهِ عَلَى قَوْمِـهِ يُسْـتَغْنَ عَنْـهُ وَيُذْمَـمِ

الحكمة والصداقة:

الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي. فتمتعه بصحة نفسية وجسـمية، واسـتمتاعه بحياة سعيدة مرهون بنجاحه في تكوين أصدقاء، يكون بينهم عطف متبادل، حيث يريد كل منهم الخير للآخر، وتسره مسراتهم وتحزنه أحزانهم، وبذلك تقوم الصداقة علـى المعاشرة والتشابه والمشاركة الوجدانية، فالصداقة من ضرورات الحياة، ولما للصداقة من أثر في حياة الإنسان، فإن الحكماء والمفكرين أولوها جانبًا من تفكيرهم، فبينوا فوائـد الصداقة وصفات الصديق الحق، وأعملوا حكمتهم وما تمليه عقولهم حـين خصصـوا صفات الصديق، وطلبوا ممن يرغب في معاشرة الأصدقاء أن يختـارهم علـى علـم

---

[١٧٢] أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن يوسف: ديوانه، تحقيق: دريـة الخطيـب، ولطفـي الصقـال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ١٨٧.

[١٧٣] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، ص٣٠.

www.mtenback.com

وحكمة، وبينوا أثر الحكمة في أخلاق الأصدقاء، وعرفوا أن الصديق الذي يختاره الحكيم صديق خاص، ليس كل الأصدقاء، وهو أنه من يطلب لصديقه الخير، ويداوم على صداقته، ويصبر عليه ويحتمله. وإذا كان للصداقة بحث مستقل في هذه الموسوعة، فإن ما يدخل هنا من أغراضها هو ما تستعمل في صداقته الحكمة والروية وما يتم اختياره على أسس التجارب الإنسانية التي قومتها الحكمة وامتحنتها التجربة فعرفت الصديق تعريفًا يناسب الحكمة ويشاكل العقل، وأعملت في اختياره هذين العاملين ، يقول أبو العتاهية[١٧٤]:

أَتَدْرِي مَنْ أَخُوكَ، أَخُوكَ حَقًّا، أَخُوكَ بِصَبْرِهِ لَكَ وَاحْتِمالِهْ
أَخُوكَ الْمُبْتَغِي لَكَ كُلَّ خَيْرٍ وَصاحِبُكَ الْمُداوِمُ فِي وِصالِهْ

ودعوا إلى مصادقة التقي المحافظ على الآداب، العفيف الذكي الذي يحترم الآخرين ويعاملهم بحكمة وصدق، يقول علي رضي الله عنه[١٧٥]:

وَلاتَصْحَبَنْ إلاّ تَقِيًّا مُهَذَّبًا عَفِيفًا، ذَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَواعِدِ
وَقارِنْ إذا قَارَنْتَ حُرًّا مُؤَدَّبًا فَتى مِنْ بَنِي الأَحْرارِ زَيْنِ الْمَشاهِدِ

وحذروا من مصاحبة الأشرار والأنذال وذوي الدناءة، والأخلاق السيئة، لأن من يصاحب أمثال هؤلاء فإن سوء أخلاقهم ينتقل إليه بالعدوى. وأول مهمات الحكيم أن يحسن اختيار أصدقائه، واصطفاءهم. يقول صالح بن عبدالقدوس[١٧٦]:

وَاحْذَرْ مُؤاخاةَ الدَّنِيءِ لأَنَّهُ يُعْدِي كَما يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ
وَاخْتَرْ صَدِيقَكَ وَاصْطَفِيهِ تَفاخُرًا إنَّ الْقَرِينَ إلَى الْمُقارِنِ يُنْسَبُ

---

[١٧٤] أبو العتاهية: ديوانه، ص٣٦٦.

[١٧٥] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٢٣.

[١٧٦] المصدر السابق، ص٤٢٩.

www.mtenback.com

وَذَر الحَسُودَ وَإِنْ تَقادَمَ عَهْدُهُ فَالحَقُّ باقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ

وقد بلغ العرب من الاهتمام بالسلوك وأثره في الإنسان مبلغًا عظيماً، وميزوا بين ما جبل عليه المرء وما يمكن أن يؤثر فيه خارج طبعه وجبلته، وما التأثير الأكبر، إلا للملازم من الناس والمشارك في الحياة العامة مثل الزميل في العمل، والجار في السكن، والصاحب في السفر. فالإنسان مفطور على الأنس بالآخرين، ومحب للمجاملة والانقياد؛ لهذه الأسباب حرصوا على أن يصاحب الإنسان أهل الحكمة إن كان لابد من المصاحبة، ليتخلق بأخلاقهم، ويفيد من حكمتهم. يقول طرفة[١٧٧]:

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ القَرِينَ بِالمُقارِنِ مُقْتَدِ

وصاحب السوء داء عياء، يخبر عن سوءات صاحبه، ويكتم حسناته، يقول المثقب العبدي[١٧٨]:

وَصاحِبُ السُّوءِ كَالدَّاءِ العَيَاءِ إِذا مَاارْفَضَّ فِي الجَوْفِ يجْرِي هَاهُنا وَهُنا

يُنبِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنا

كَمُهْرِ سُوءٍ إِذا رَفَّعْتَ سَيرته رَامَ الجِمَاحَ وَإِنْ أَخْفَضْتَهُ حَرَنا

إِنْ يَحْيَ ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَعْزِلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلا تَقْرُبْ لَهُ جَنَنا

وإذا كان هذا حال صاحب السوء، فإن بعض الأصحاب الأوفياء يُفضلون على الأخ الشقيق. وفي ذلك يقول أحد الشعراء[١٧٩]:

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوكَ وَأَخٍ أَبُوهُ أَبُوكَ قَدْ يَجْفُوكَ

---

[١٧٧] طرفة بن العبد: ديوانه، ص٥٨.

[١٧٨] القرطبي: بهجة المجالس، ص٧٢٤.

[١٧٩] المصدر السابق، ص٧٨٣.

www.mtenback.com

والصديق الحق هو الذي يحفظ صديقه في غيبته، وحتى بعد موته. يقول علي ابن أبي طالب[١٨٠]: «لا يكون الصديق صديقًا حتى يحفظ صديقه في غيبته، وبعد وفاته». وفي هذا المعنى يقول كثير عزة[١٨١]:

خَيْرُ إِخْوانِكِ المُشارِكُ فِي الشَّرْ ... رِ وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الأَمْرِ أَيْنا؟
اَلَّذِي إِنْ حَضَرْتَ سِرَّكَ فِي الحَيْ ... ي وَإِنْ غِبْتَ كانَ أُذْنًا وَعَيْنا

والصديق الحق هو الذي لا يوارب في صداقته، بل يكون صريحًا كلّ الصراحة. وفي ذلك يقول المثقب العبدي[١٨٢]:

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ ... فَاعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي
وَإِلاَّ فَاطَّرِحْنِي وَاتَّخِذْنِي ... عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي

كما حذروا من كثرة الأصدقاء، لأنه ربما انقلبوا إلى أعداء فيكون ضررهم أكبر وأشد، فيجب أن يوطن المرء نفسه على احتمال وقوع ذاك. وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي[١٨٣]:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ فِي الطَّعامِ وَفِي الشَّرَابِ

---

[١٨٠] المصدر السابق، ص٦٨٦.

[١٨١] كثير عزة: ديوان كثير عزة، شرح وتحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت ط١ (١٩٩٦م)، ص١٧٩.

[١٨٢] المثقب العبدي: ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٢٩.

[١٨٣] ابن الرومي، علي بن العباس: ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب القاهرة، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج١، ص٢٣١.

www.mtenback.com

إِذا انْقَلَبَ الصَّدِيــقُ غَــدا عَــدُوّاً مُبِينًــا وَالأُمُــورُ إِلَــى انْقِــلابِ

وكم من صديق يبدي الودّ ويضمر العداوة والبغضاء. يقول سويد بن الصامت[١٨٤]:

أَلا رُبَّ مَنْ تَدْعو صَدِيقًــا لَوْتَــرى مَقالَتَــهُ بِــالغَيْبِ سَــاءَكَ مــايَفْرِي
مَقَالَتُهُ كَالشَّهْدِ مــا كــانَ شَــاهِدًا وَبِالغَيْبِ مَأْثورٌ عَلى ثَغْــرَةِ النَّحْــرِ
تُبِينُ لَكَ العَيْنــانِ مَــا هُــوَ كَــاتِمٌ مِنَ الشَّرِّ بِالبَغْضَاءِ وَالنَّظَــرِ الشَّــزْرِ
يَسُــرُّكَ بَادِيــهِ وَتَحْــتَ أَدِيمِــهِ نَمِيمَةُ غِشٍّ تَبْــتَرِي عَقِــبَ الظَّهْــرِ

ودعوا إلى عدم اتخاذ الصديق إلاّ بعد اختباره، وتجربته، وسبر مكنون نفسه. يقول المقنع الكندي[١٨٥]:

أُبْــلُ الرِّجــالَ إِذا أَرَدْتَ إِخــاءَهُمُ وَتَوَسَّــمَنَّ أُمُورَهُــمْ وَتَفَقَّــدِ
فَإِذا رَأَيْتَ أَخَــا العَفافَــةِ وَالنُّهــى فَبِهِ اليَدَيْــنِ قَرِيــرَ عَيْــنٍ فَاشْــدُدِ

ولكن لا يذهبن بنا القول إلى ألا نصادق أو نصاحب إلاّ من كان خالياً من العيوب، كامل الأوصاف والسجايا، فهذا أندر من الكبريت الأحمر، فليس هناك إنسان خال من العيوب، فالكمال لله وحده. يقول ابن وكيع في هذا المعنى[١٨٦]:

مَنْ لَــمْ يَكُــنْ مُؤاخِيًــا إِلاَّ الَّــذِي لاعَيْبَ فِيهِ عَاشَ فَرْدًا فِــي الــوَرَى

وإن الحكمة في معاشرة الناس تقتضي المرونة في التعامل معهم والتآلف مع أصنافهم والصبر على هفواتهم وعيوبهم، لأنه ليس ثمة مَن لا عيب فيه. يقول النابغة[١٨٧]:

---

[١٨٤] القالي: أمالي القالي، ج١، ص١٩٨.

[١٨٥] المقنع الكندي: شعر المقنع الكندي، ص ٤٣-٤٤.

[١٨٦] القرطبي: بهجة المجالس، ص٦٥٦.

[١٨٧] النابغة الذبياني: ديوانه، ص١٤.

www.mtenback.com

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمّهُ عَلى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

ولما كان ذلك كذلك، فقد دعوا إلى عدم معاتبة الصديق على كل هفوة، بل لا بد من الصبر على تلك الهفوات. يقول أحدهم[١٨٨]:

أُتْرُكْ مُكاشَفَةَ الصَّدِيقِ إِذا غَطَّى عَلى هَفَواتِهِ سَتْرُ

وَتَجَافَ عَنْهُ بِلا مُصارَمَةٍ فَلَنِعْمَ صَائِنُ عِرْضَكَ الصَّبْرُ

ومن أفضل ما قيل في علاقة الصديق بصديقه، قول علي رضي الله عنه[١٨٩]: «ابذل لصديقك كلّ المودة، ولا تبذل له كل الطمأنينة، وأعطه من نفسك كلّ المواساة، ولا تفض إليه بكل الأسرار».

وخير حكمة نختم بها موضوع الصداقة وما يحسن من الحكمة فيها قول الله عز وجل: ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[١٩٠].

الحكمة والعداوة:

لقد تحدث الحكماء عن العداوة، وحذروا من الأعداء. والعاقل لا يأمن أن يعاديه من كان أمنًا وسلامًا عليه. يقول الطغرائي[١٩١]:

أَعْدى عَدُوِّكَ أَدْنى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ فَحاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلى دَخَلِ

فَإِنَّما رَجُلُ الدُّنْيا وَواحِدُها مَنْ لا يُعَوِّلُ فِي الدُّنيا عَلى رَجُلِ

---

[١٨٨] القرطبي: بهجة المجالس، ٦٥٣.

[١٨٩] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٤٢.

[١٩٠] سورة الزخرف: الآية ٦٧.

[١٩١] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٤٢.

www.mtenback.com

ودعوا إلى مجاملتهم اتقاءً لشرهم، ولأن الحكمة تقتضي أن يقلل الإنسان من العداوات، فهي لا تعود بنفع. يقول الطغرائي أيضًا[١٩٢]:

جَامِلْ عَدُوَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... بِالرِّفْقِ يُطْمَعُ فِي صَلاحِ الفاسِدِ

وَاحْذَرْ حَسُودَكَ ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... إِنْ نِمْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ عنك بِراقِدِ

فالحسود أشد ضررًا من العدو، لأن العدو ربما ترك عداوته إذا أخذ بالرفق واللين. أما الحاسد فلن يرضى بأقل من زوال النعمة، وبذلك يقول الطغرائي أيضًا[١٩٣]:

إِنَّ الحَسُودَ وَإِنْ أَراكَ تَوَدُّدًا ... مِنْهُ أَضَرُّ مِنَ العَدُوِّ الحاقِدِ

وَلَرُبَّمَا رَضِيَ العَدُوُّ إِذا رَأى ... مِنْكَ الجَمِيلَ فَصارَ غَيْرَ مُعانِدِ

وَرِضا الحَسُودِ زَوالُ نِعْمَتِكَ الَّتِي ... أُوتِيتَهَا مِنْ طارِفٍ أَوْ تالِدِ

وإذن لا مندوحة من الصبر على أذى الحسود، فإن عاقبة حسده عائدةٌ ضررًا عليه، فناره تأكل حشاه كما تأكل النار نفسها، حتى تحور رمادًا، وفي هذا المعنى يقول الطغرائي[١٩٤]:

فَاصْبِرْ عَلى غَيْظِ الحَسُودِ فَنارُهُ ... تَرْمِي حَشاهُ بِالعَذابِ الخالِدِ

أَو مَارَأَيْتَ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَها ... حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرَّمادِ الهَامِدِ

تَضْفُو عَلى المَحْسُودِ نِعْمَةَ رَبِّهِ ... وَيَذُوبُ مِنْ كَمَدٍ فُؤادُ الحاسِدِ

---

[١٩٢] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٥٥.

[١٩٣] المصدر السابق، ص ٤٥٦.

[١٩٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وإذا ما عجز الإنسان من مواجهة العدو، أو ردّ مكائده، فليس أمامه إلاّ المداراة، والملاطفة، كالماء الذي يطفئ النار الملتهبة. وفي هذا المعنى يقول ابن نباته[١٩٥]:

وَإذا عَجَزْتَ عَنِ العَدُوِّ فَداره ... وَامْزَحْ لَهُ، إنَّ المُزاحَ وِفاقُ

فَالنَّارُ بِالماءِ الَّذي هُوَ ضِدُّها ... تُعْطِي النِّضاجَ، وَطَبْعُها الإحْراقُ

ومن الحكمة مسالمة الناس ابتداءً واطّراح الشر، ليعيش الإنسان في سلامة مطمئن البال. يقول البستي[١٩٦]:

مَنْ سالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوائِلِهِمْ ... وَعَاشَ وَهْوَ قَرِيرُ العَيْنِ جَذْلانُ

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَواقِبِهِ ... نَدامَةً، وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ أَوانُ

ولكن مع الدعوة إلى المسالمة وترك النزاع، فإنه ينبغي ألاّ يُركن إلى الأشرار، وعدم الحذر منهم. يقول ابن وكيع[١٩٧]:

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الأَشْرارِ نامَ وَفِي ... رِدائِهِ مِنْهُمِ صِلٌّ وَثُعْبانُ

وأفضل حكمة في معاملة الأعداء، قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١٩٨].

---

[١٩٥] ابن نباتة المصري، جمال الدين: ديوان ابن نباتة، تحقيق: محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص٢٨٦.

[١٩٦] البستي: ديوانه، ص١٨٨.

[١٩٧] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص ٥٩٨.

[١٩٨] سورة فصلت: الآيتان ٣٤-٣٥.

www.mtenback.com

الحكمة والعفو:

الحكمة والحلم قرينان لا يفترقان، وهما من الصفات التي أجمع العرب على احترامها وتبجيل من يتحلى بهما. والحلم خاصة صفة أهل الرئاسة والسؤدد، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامة العِرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد، وهو سبيل السيادة والشرف. يقول المرار بن سعيد[١٩٩]:

إذا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ قَبِيلَةً ... فَبِالحِلْمِ سُدْ لا بِالسَّفاهَةِ وَالشَّتم

وفضيلة الحلم لا يكون التخلق بها إلا بعد تعقّل وفهم وحكمة يهبها الله قليلاً من الناس. وقد قال شاعر[٢٠٠]:

لا يَبْلُغُ المَجْدَ أَقْوامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لأَقْوامِ

وَيُشْتَموا فَتَرى الأَلْوانَ مُسْفِرَةً ... لا عَفْوَ ذُلٍّ وَلَكِنْ عَفْوَ أَحْلامِ

والعفو عند المقدرة من أعلى درجات الحلم، لأنه صادر عن ثقة بالنفس. قال أحد الحكماء[٢٠١]: «أحسن المكارم عفو المقتدر».

ولا يُعرف الحليم إلا بإغضابه، لأن الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب. قال الشاعر[٢٠٢]:

لَيْسَتِ الأَحْلامُ فِي حالِ الرِّضا ... إِنَّما الأَحْلامُ فِي حالِ الغَضَبْ

وساعة الغضب هي امتحان حقيقي لقدرة الإنسان على تحكيم عقله وإرادته على نوازعه، قال الشاعر[٢٠٣]:

---

[١٩٩] القرطبي: بهجة المجالس، ٢/٦١١.

[٢٠٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٨٥.

[٢٠١] المصدر السابق، ص ١٨٤.

[٢٠٢] المصدر السابق، ص ١٨٧.

[٢٠٣] المصدر السابق، نفسه.

www.mtenback.com

مَنْ يَدَّعِي الحِلْـــمَ أَغْضِبْـــهُ لِتَعْرِفَـــهُ لا يُعْرَفُ الحِلْمُ إلاَّ سَـــاعَةَ الغَضَـــبِ

ولكن للحلم مواضع، فلا حلم حين لا يكون إلاّ البطش والبأس، بل هو في هذا الموضع يعدُّ من الجهل والطيش. وقد أجاد المتنبي إذ قال[٢٠٤]:

إِذا قيلَ: رِفْقًا، قَالَ لِلْحِلْـــمِ مَوْضِـــعٌ وَحِلْمُ الفَتى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْـــلُ

ومن أحسن ما قيل في الحلم قول النابغة الجعدي[٢٠٥]:

وَلاخَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذا لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهُ بَوادِرُ تَحْمِـــي صَفْـــوَهُ أَنْ يُكَـــدَّرا

وَلا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذا لَمْ يَكُـــنْ لَـــهُ حَلِيمٌ إِذا مَـــا أَوْرَدَ الأَمْـــرَ أَصْـــدَرا

فالحلم هو ميزان الحكمة التي تضبط شرور الجهل وتخبطاته، بالصـــبر والأنـــاة وضبط النفس، والحكمة هي التعامل مع الأشياء بما تستحق دون نقص أو زيادة وهذا هو مناط العمل بها. وخير ما نختم به موضوع الحلم والعفو، قول الغفور الحليـــم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢٠٦].

الحكمة والصبر:

الصبر من أعظم السجايا، وأشرف الأخلاق، وأعظمها نفعًا، فمن حسن توفيق المرء، وسعادته، صبره على الملمات والشدائد. وبه أمر الله تعالى عباده المؤمنين فقـــال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾[٢٠٧]. وقال الرسول ﷺ[٢٠٨]: «الصبر ضياء».

---

[٢٠٤] المتنبي: ديوانه، ١٨٧/٣.

[٢٠٥] النابغة الجعدي: ديوانه ٦٩.

[٢٠٦] سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

[٢٠٧] سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

[٢٠٨] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإســـلامي، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٥٩.

www.mtenback.com

وللحكماء أقوال كثيرة تمجد الصبر وتدعو إليه، وتبين فوائده. قال علي رضي الله عنه[٢٠٩]: «الصبرُ مطية لا تكبو». ويرى ابن عباس رضي الله عنهما أن الصبر أفضل ما يتسلح به المرء لمواجهة الشدائد والمحن، فيقول[٢١٠]: «أفضل العدة الصبر على الشدة». ومثل ذلك ما قاله بعض الحكماء[٢١١]: «من أحب البقاء، فليعدَّ للمصائب قلبًا صبورًا». ولأن الحكمة تملي على المرء تصرفاته في كل ما يعرض له وتبعده عن الطيش والسفه فإن الصبر ساعد قوي يرفع شأن الحكمة ويعلي المراد منها، ويحقق عملها في السلوك العام.

ويحمل النفس على التأني لمواجهة صروف الدهر، فلربما انكشفت الغمة وزالت الشدة دونما حيلة أو تصرف، فيكون الصبر هو الحيلة لدفعها. يقول عبيد بن الأبرص[٢١٢]:

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمِّ ... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ المُحْتالِ

لا تَضِيْقَنَّ فِي الأُمُورِ فَقَدْ تُكْـ ... ـشَفُ غَمَّاؤُها بِغَيْرِ احْتِيالِ

رُبَّ ماتَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ

وليس وراء الصبر إلاَّ الفرج. قال أكثم بن صيفي: «من صبر ظفر»[٢١٣].

---

[٢٠٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢١٢.

[٢١٠] المصدر السابق.

[٢١١] المصدر نفسه.

[٢١٢] عبيد بن الأبرص: ديوانه، تحقيق: حسين نصار، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١ (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ص١١١-١١٢.

[٢١٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢١٥.

www.mtenback.com

وقال بعض الحكماء[٢١٤]: «من صبر نال المنى». ومن أفضل ما قيل في عواقب الصبر ونتائجه المحمودة، التي ينالها العاقل الذي لا يترك حوادث الدهر تسيّره، بل يصبر على سعيه الواعي لغايته، ما قاله محمد بن بشير[٢١٥]:

إنَّ الأُمُورَ إذا سُدَّتْ مَطالِبُها ... فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْها كُلَّ ما ارْتَتَجا

لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطالَبَةٌ ... إذا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرِجا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوابِ أَنْ يَلِجا

ومما يساعد على الصبر وتحمله إدراك الإنسان أن كلّ شدة أو محنة لابد أن تزول، وأن لكل ضيق فرجًا ومخرجًا، وما اشتد عسر إلا أعقبه يسر. وفي ذلك يقول الشاعر[٢١٦]:

عَسى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

إذا اشْتَدَّ عُسرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإنَّهُ ... قَضى اللهُ أَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ

فقوله إن العسر يتبعه اليسر إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٢١٧].

فلابد للضيق أن ينفرج، ولابد للشدة أن تنكشف. ولِمَ الجزعُ من عُسْرٍ لن يدوم، بينما عاش الإنسان في يسرٍ زمنًا طويلاً، كما أنّ على الإنسان أن يظلّ متصل الفؤاد بربه معلّق الرجاء به. قال الشاعر[٢١٨]:

---

[٢١٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٥.

[٢١٥] المصدر السابق نفسه.

[٢١٦] القرطبي: بهجة المجالس، ص ١٧٧.

[٢١٧] سورة الشرح: الآيتان ٥-٦.

[٢١٨] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص١٨٣.

www.mtenback.com

رَأَيْتُ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وَقَالُ اللُه أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

فَلا تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا ... فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ

وَلا تَظُنْنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ ... فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالجَمِيلِ

والأمر مهما ضاق، فلابد أن يتسع يومًا، ولابدَّ للبلاء أن يزول مهما طال أمده. يقول الباهلي[٢١٩]:

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الأَمْرِ يَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الهَمِّ يَنْدَقِعُ

فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ إِذا ماضَاقَ يَتَّسِعُ

إِنَّ البَلاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَالمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

ومن طريف ما قيل في انفراج الهم، في حكمة ونصيحة لطيفة، ما قاله الشاعر[٢٢٠]:

يَا أَيُّهَا المَرْءُ الَّذِي ... يَرَى الهَمَّ بِهِ بَرَحْ

إِذا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ ... فَفَكِّرْ فِي «أَلَمْ نَشْرَحْ»

ففي قوله: ألم نشرح إشارة إلى سورة الشرح وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٢٢١]. فلا بد للهم أن ينجلي، ولابد للضيق أن يزول، فينشرح الصدر بالفرج.

الحكمة والحياء:

الحياء سنام المكارم، وهو دليل على كمال المروءة، وحسن السريرة، وهو من سمات الخير، حتى عدَّ بعضهم الحياء ماء الحياة، به يعيش، كالماء الذي يحيا به النبات

---

[٢١٩] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص١٨٢.

[٢٢٠] المصدر السابق، ج١، ص١٨٣.

[٢٢١] سورة الشرح: الآية ١.

www.mtenback.com

فإن فقده فمصيره الذبول ثم الموت. يقول حكيم[٢٢٢]: «حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه». وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٢٣]:

يَعِيْشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ مَابَقِي اللِّحَاءُ

والحياء يضفي على الوجه جمالاً وبهاء، وهو دليل على طيب نجار المرء وكريم أصله. يقول طرفة بن العبد[٢٢٤]:

إِذا قَلَّ مَاءُ الوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ ... وَلا خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذا قَلَّ مَاؤُهُ

حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا ... يَدُلُّ عَلَى وَجْهِ الكَرِيمِ حَيَاؤُهُ

وليس عن سلب الحياء صاد عن قبيح، ولا زاجر عن محظور، فهو يقدم على ما يشاء، ويأتي ما يهوى، ويتبع شهواته دونما رادع، وهذا هو معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام[٢٢٥]: «إذا لم تستح فاصنع ماشئت».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٢٦]:

إِذا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

والحياء عقال للمرء يمنعه من ارتكاب القبيح أو المجاهرة به، ويحول بينه وبين ما يزري بالمروءة. وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٢٧]:

وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ... وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلاَّ الحَيَاءُ

---

[٢٢٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٨٠.

[٢٢٣] المصدر السابق، ص ١٨١.

[٢٢٤] طرفة بن العبد: ديوانه، ص ٢٥.

[٢٢٥] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، رقم الحديث ٣٣٩١-٤٢٥٨.

[٢٢٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٨١.

[٢٢٧] المصدر السابق، ص ١٨٣.

www.mtenback.com

والحياء من حكمة القلب وحسن فعاله وصنيعه، يردع عن الدنايا ويحفظ على المحامد الخلقية، قال شاعر[٢٢٨]:

وَلَقَدْ أَصْرِفُ الفُؤادَ عَنْ الشَّيْ ... ءِ حَيَاءً وَحُبُّهُ فِي السَّوادِ

والحياء يكسو المرء رداءً من العفة والوقار والبهاء، وهو حجاب يحول بينه وبين القبائح والمساوئ، ولذلك عدّوا من لاحياء له كالعريان الذي تبدو عوراته ومساوئه، وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٢٩]:

وَإِنِّي أَرَى مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ ... وَلا أَمانَةَ وَسْطَ القَوْمِ عُرْيانا

الحكمة وصون النفس:

للنفس على صاحبها حق عظيم، وحقها حفظها وصونها عما يشينها، ويوردها المهالك، وذلك بنهيها عن غيّها، وردعها عن هواها. ومن يستطع أن يملك زمام نفسه ويحول بينها وبين الجماح واتباع شهواتها فهو الحكيم حقًا. يقول أبو الأسود الدؤلي[٢٣٠]:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَها عَنْ غيِّها ... فَإِذا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُناكَ يُقْبَلُ ما وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

والعجب كل العجب، لمن يعلم الناس ويرشدهم، ونفسه أحق بذلك الإرشاد، فمثله كمثل الطبيب الذي يصف الدواء لغيره، وهو أولى به لأنه هو المريض حقًا. وفي هذا يقول أبو الأسود أيضًا[٢٣١]:

---

[٢٢٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٨٢

[٢٢٩] المصدر السابق ، ص ١٨٣.

[٢٣٠] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٢٥.

[٢٣١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

يـا أَيُّهـا الرَّجُـلُ المُعَلِّـمُ غَـيْرَهُ هَـلاَّ لِنَفْسِـكَ كـانَ ذا التَّعْلِيـمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا كَيْمـا يَصِـحَّ بِـهِ وَأَنْـتَ سَـقِيمُ
وَأَراكَ تُصْلِـحُ بِالرَّشـادِ عُقُولَنـا أَبَدًا وَأَنْـتَ مِـنَ الرَّشـادِ عَقِيـمُ

ومن حق النفس على صاحبها نهيها عن مجاراة السفهاء ومعاشرتهم، والتخلق بأخلاقهم. فمجاراتهم فيها مذمة وظلم يعقبها ندم وحسرة. يقول أبو الأسود في هذا المعنى أيضًا[٢٣٢]:

فَـاتْرُكْ مُجَـاراةَ السَّـفِيهِ فَإِنَّهـا نَـدَمٌ وَغَـبٌّ بَعْـدَ ذَاكَ وَخِيـمُ
فَإِذا جَرَيْتَ مَعَ السَّفِيهِ كَما جَـرى فَكِلاكُمـا فِـي جَرْيِـهِ مَذْمُـومُ
فَإِذا عَتَبْتَ عَلَـى السَّـفِيهِ وَلُمْتَـهُ فِي مِثْـلِ ماتَـأْتِي فَـأَنْتَ ظَلُـومُ

ومن يصن نفسه عما يشينها يحي حياة سعيدة هانئة، وتكون سمعته عطرة بين الناس، وذكره حميدًا بين الورى. يقول صالح بن عبد القدوس[٢٣٣]:

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْها عَلى مايُزَيِّنُهـا تَعِشْ سالِمًا وَالقَـوْلُ فِيـكَ جَمِيـلُ

فلابدَّ للإنسان من صون نفسه عن موارد الهلاك والردى؛ لأن النفس بالشهوات آمرة، وعن الرشد زاجرة. وقد بين حقيقتها العلي العليم فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٢٣٤].

فلا مندوحة من رياضتها، وعدم مجاراتها في رغباتها وشهواتها من أجل تقويم عوجها، وإصلاح فسادها، وعندئذ يكون قد ملكها بعد أن ملكته، وغلبها بعد أن

---

[٢٣٢] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٢٥.
[٢٣٣] المصدر السابق، ص ٤٢٩.
[٢٣٤] سورة يوسف: الآية ٥٣.

www.mtenback.com

غلبته. ومن أقوال الحكماء[٢٣٥]: «من قوي على نفسه، تناهى في القوة، ومن صبر عن شهوته بالغ في المروءة». وقال الآخر[٢٣٦]: «إذا عصتك نفسك فيما كرِهَتْ، فلا تطعها فيما أحبَّتْ، ولا يغرنَّك ثناء من جهل أمرك».

لأن في إطاعتها والخضوع لها الهلاك والخسران والخيبة، وفي عصيانها الفوز والفلاح، ولتكن حكمتنا في صون النفس قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢٣٧].

الحكمة وحفظ الجار وإكرامه:

للجار حق عظيم. ورعاية هذا الحق من الفضائل التي حرص عليها العرب، وافتخروا بها، ومصدر حفاظهم على الحقوق العامة والخاصة للآخرين نابع من حكمة النظر إلى عواقبها وحسن الثناء على فاعلها. وقد حددت العرب قيمًا تحافظ عليها ومنها قيم الجوار وحقوقه. يقول عمر بن أبي ربيعة[٢٣٨]:

ثِنْتَانِ لا أَدْنُو لِوَصْلِهِمَا ... عِرْسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ

أَمَّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ ... وَالجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

ولذلك أوصى الحكماء والبلغاء بالجار ورعايته، لأن إكرامه دليل على كرم المرء، ومروءته، وقيامه بواجب الصلة الاجتماعية. يقول المثقب العبدي[٢٣٩]:

أَكْرِمِ الجَارَ وَرَاعِ حَقَّهُ ... إِنَّ عِرْفَانَ الفَتَى الحَقَّ كَرَمْ

---

[٢٣٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٧١.

[٢٣٦] المصدر السابق، ص ١٧١.

[٢٣٧] سورة الشمس: الآيتان ٩-١٠.

[٢٣٨] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٨م)، ص٨٣.

[٢٣٩] الهاشمي: جواهر الأدب، ٤٢٢/٢.

www.mtenback.com

ودعوا إلى معاشرة الجار على ظاهر أمره، فلا يتجسسون عليه، وإن اتفق ما يوجب عليهم حفظه بعقد الجوار فطنوا له. يقول قيس بن الخطيم[٢٤٠]:

لا يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِم وَهُم لِحِفْظِ جِوَارِه فُطْنُ

وحسن الجيرة مقدم على حسن الدار وجمالها. ولذا فعلى المرء أن يحسن اختيار جيرانه، يقول الشاعر[٢٤١]:

اطْلُبْ لِنَفْسِك جِيرانًا تُجَاوِرُهُم لا تَصْلُحُ الدَّارُ حَتى يَصْلُحَ الجَارُ

والعربي يرى لجاره حقًا كحقوق أولاده وعياله، ويذود عن عرضه ويدفع عنه الضيم والجور بنفسه وماله. ويصور ذلك جساس بن مرة فيقول[٢٤٢]:

إِنَّمَا جَارِي لَعَمْرِي فَاعْلَمُوا أَدْنَى عِيَالِي
إِنَّ لِلْجَارِ عَلَيْنَا دَفْعَ ضَيْمٍ بِالعَوالِي
سَأُؤَدِّي حَقَّ جَارِي وَيَدِي رَهْنٌ فِعَالِي

وكانوا يحافظون خاصة على عرض الجار، ويصونون محارمه من كل ما يدنسها، وهذا خلقٌ نبيل شريف يدل على سمو النفس وارتقائها. يقول عنترة بن شداد[٢٤٣]:

وَأَغُضُّ طَرْفِي ما بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوارِي جَارَتِي مَأْواها

---

(٢٤٠) التبريزي، يحيى بن علي، شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص٦٨.

(٢٤١) القرطبي، بهجة المجالس، ج١، ص٢٩١.

(٢٤٢) اليسوعي، شيخو: شعراء النصرانية، بيروت، ١٨٩٠م، ص٢٤٦.

(٢٤٣) عنترة بن شداد: ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٧٦.

www.mtenback.com

الحكمة والعلم والجهل:

العلم أشرف الصناعات وأفضل ما طلبه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه. قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢٤٤].

فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما خص به العالم من فضيلة العلم. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٢٤٥].

فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرًا، أو يفهم منه زجرًا[٢٤٦].

ولما كان للعلم هذه الفضيلة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، ولما يترتب على اكتسابه وتحصيله من ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة، فإن الحكماء والبلغاء حضوا عليه، وبيّنوا فوائده وفضله. قال عبد الملك بن مروان موصيًا أبناءه[٢٤٧]: «يابني تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم».

فبالعلم يسود من ليس له قدْر بين الناس. يقول حكيم[٢٤٨]: «العلم شرف من لاقدر له». والعلم أفضل ما يُورثه المرء لمن بعده، والاشتغال به شرف عظيم. قال بعضهم[٢٤٩]: «العلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف».

---

[٢٤٤] سورة الزمر: الآية ٩.

[٢٤٥] سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

[٢٤٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٣.

[٢٤٧] المصدر السابق نفسه.

[٢٤٨] المصدر السابق نفسه.

[٢٤٩] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ويقول الطغرائي منبهًا إلى عظيم فائدة الانصراف إلى التعلم وكسب العلم، وأنّ ذلك هو السلوك الرشيد الذي يستحق أن ينفق المرء فيه عمره، لا أن ينفقه في جمع المال الذي يذهب كما جاء، ويترك صاحبه خائبًا محسورًا[٢٥٠]:

اَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لا فَناءَ لَهُ ... نِعْمَ القَرِينُ إذا ما صاحبٌ صَحِبا

قَدْ يَجْمَعُ المَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرَمُهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالحَرَبا

وَجامِعُ العِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ... وَلا يُحاذِرُ مِنْهُ الفَوْتَ وَالسَّلَبا

يَاجامِعَ العِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ ... لا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلا ذَهَبا

فشتان بين السعي على العلم والسعي على المال، ففي العلم غنى النفس الباقي معها، وفي المال غنى العَرض الذي يمكن أن يزول، فيترك النفس خاوية مقفرةً بلا عزاء[٢٥١]:

يا ساعِيًا وَطِلابُ المالِ هِمَّتُهُ ... إنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ العَقْلِ والدِّينِ

عَلَيْكَ بِالعِلْمِ لاَ تَطْلُبْ لَهُ بَدَلاً ... وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ

اَلْعِلْمُ يُجْدِي وَيَبْقَى لِلفَتَى أَبَدًا ... وَالمَالُ يُفْنِي وَإِنْ أَجْدَى إلى حِينِ

فَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذِلٌّ لِصاحِبِهِ ... مَازَالَ بِالبُعْدِ بَيْنَ العِزِّ وَالهُونِ

فالعلم أنفس شيء يدخر، فعلى المرء أن يسعى في تحصيله من مصادره ومنابعه، وهي مجالسة العلماء ومصاحبتهم. وفي ذلك يقول حسام الدين الواغطي[٢٥٢]:

وَالعِلْمُ أَنْفَسُ شَيءٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ ... فَلا تَكُنْ جَاهِلاً تَسْتَوْرِثُ النَّدَمَا

---

(٢٥٠) الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٥٠.

(٢٥١) المصدر السابق، ص٤٣٥.

(٢٥٢) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

تَعَلَّمِ العِلْـــمَ وَاجْلِـــس في مَجَالِســـهِ ... مَا خَابَ قَطُّ لَبِيبٌ جَـــالَسَ العُلَمَـــا

والعالم دائمًا في نعيم وإن كان معدمًا، والجاهل محروم وإن كان وفير المـــال. وفي هذا المعنى يقول أبو الفتح البستي[٢٥٣]:

يا أَيُّهـــا العَـــالِمُ المَرْضِـــيُّ سِـــيرَتُهُ ... أَبْشِـــرْ فَـــأَنْتَ بِغَـــيْرِ المـــاءِ رَيَّـــانُ

وَيَا أَخَا الجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَـــجٍ ... فَـــأَنْتَ مابَيْنَهَـــا لا شَـــكَّ ظَمْـــآنُ

وفي العلم حياة للمرء، وفي الجهل موته، وإن كان يعد مـــع الأحيـــاء. قـــال بعضهم[٢٥٤]:

وَفِي الجَهْلِ قَبْلَ المَوْتِ مَوْتٌ لأَهْلِـــهِ ... فَأَجْسَـــامُهُمْ قَبْـــلَ القُبُـــوْرِ قُبُـــورُ

وَإِنَّ امْرَءًا لَمْ يَحْـــيَ بِـــالعِلْمِ مَيِّـــتٌ ... فَلَيْسَ لَـــهُ حَتَّـــى النُّشُـــورِ نُشُـــورُ

وليس للعلم غاية ينتهي عندها. بل إذا ظن المرء أنه وصل إلى غايته فإنه يعـــود جاهلاً. جاء في عيون الأخبار[٢٥٥]: «كان يقال: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلـــم، فإذا ظن أن قد علم فقد جهل». وقال بعض الحكماء[٢٥٦]: «لو كنَّا نطلب العلم لنبلغ غايته، لكنَّا قد بدأنا العلم بالنقيصة، ولكنَّا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل، ونزداد في كل يوم من العلم». فالعلم مدى الحياة لا يقف عنـــد عمـــر معيـــن، ولا ينتهـــي عند غاية. قال المأمون لعمه إبراهيم بن المهدي[٢٥٧]: «لم لا تتعلم اليوم؟ قال: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟ قال: نعم، والله لأن تموت طالبًا للعلم، خير من أن تعيـــش قانعًـــا

---

[٢٥٣] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣١.

[٢٥٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ٢٤.

[٢٥٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص ١٣٤.

[٢٥٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٤.

[٢٥٧] المصدر السابق، ص ٢٨.

www.mtenback.com

بالجهل. قال: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة». فالمأمون شأنه شأن حاكم حكيم أدرك قيمة العلم والمعرفة في السمو بالإنسان والعلوّ بمداركه، والارتفاع بشأنه في الحياة ومع الناس.

وقيل لحماد الرواية[٢٥٨]: أما تشبع من هذه العلوم؟ فقال: استفرغنا فيها المجهود، فلم نبلغ منها المحدود، فنحن كما قال الشاعر:

إذا قطعنا عَلَمًا بَدَا عَلَمٌ

ولطلب العلم آداب ينبغي أن يتخلق بها طالب العلم، الذي يدرك سبيل تحصيل العلم والأخذ عن أهله، يلخصها الزمخشري بما نقله في ربيع الأبرار[٢٥٩]: «إياك أن تطلب العلم بالجهل، قيل: كيف تطلب العلم بالجهل؟ قال: إذا قصدت العالم في غير وقته، وتخطيت الرقاب، وتركت في طلبه حرمة الشيوخ، ولم تستعمل فيه السكينة والوقار، وأدب النفس، فذلك طلب العلم بالجهل».

الحكمة وطلب العلا:

إن المجد ومعالي الأمور مطلب عزيز، وغرض نفيس، لا يصل إليه إلاّ ذوو الهمم العالية، والنفوس الكبيرة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢٦٠]: «لا تصغرن هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم».

فلم يصل إلى مراتب العلا، وذرا المجد، إلاّ من كان لديه طموح كبير، وعزم شديد. قال حكيم[٢٦١]: «الهمة راية المجد». أما من تقاعس عن طلب العلا، ولم يبذل

---

[٢٥٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٥.

[٢٥٩] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٣، ص٢٣٠

[٢٦٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٩.

[٢٦١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

جهدًا، بل كان يمني النفس الأماني، فإنه لن يصل إلى شيء، قال بعض العلمـــاء[٢٦٢]: «من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء، لم ينل جسيمًا».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٦٣]:

يَغُوصُ البَحْرَ مَـــنْ طَلَـــبَ اللآلِـــي وَمَـــنْ رَامَ العُـــلاَ سَـــهِرَ اللَّيَـــالِي

تَـــرُومُ العِـــزَّ ثُـــمَّ تَنَـــامُ لَيْـــلاً لَقَـــدْ أَطْمَعْـــتَ نَفْسَـــكَ بِالمُحَـــالِ

فالظفر باللآلئ لا يكون إلا بعد المخاطرة بالنفس وغوص البحر، فكذلك مـــن طلب المجد لا يتهاون ولا يتكاسل، ولا يؤثر الدعة على الســـعي والكـــدح. يقـــول المتنبي[٢٦٤]:

تُرِيدِيـــنَ إِدْرَاكَ المَعَـــالِي رَخِيْصَـــةً وَلاَبُدَّ دُوْنَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَـــرِ النَّحْـــلِ

ومن أراد المعالي وأدرك شرف اكتسابها هانت عليه نفسه، كـــالذي يخطـــب الحسناء، فإنه يبذل لها الغالي والنفيس، ويرخص كل شيء في الوصول إليها. يقول أبو فراس الحمداني[٢٦٥]:

تَهُونُ عَلَيْنَا فِـــي المَعَـــالِي نُفُوْسُـــنَا وَمَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِها المَهْـــرُ

فالمجد لايبلغه إلاَّ الجاد. أما المتواكل الكسول فلايصل إلى شيء. يقول أبو الفتح البستي[٢٦٦]:

دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الخَـــيْرَاتِ تَطْلُبُهَـــا فَلَيْسَ يَسْـــعَدُ بِـــالخَيْرَاتِ كَسْـــلانُ

---

[٢٦٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٣٩.

[٢٦٣] الصفدي، صلاح الدين خليل بيك: الغيث المنسجم في شرح لامية العرب، دار الكتـــب العلميـــة، ط١، (١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م)، ص١٦.

[٢٦٤] المتنبي: ديوانه، ج٣ / ٢٩٠.

[٢٦٥] أبو فراس الحمداني: ديوانه، دار بيروت، دار صادر، بيروت (١٣٧٩هـــ/١٩٥٩م)، ص١٦١.

[٢٦٦] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٣٤.

www.mtenback.com

وبين الصفدي أنَّ العاقل يكدّ ويجتهد في سبيل إنجاح عمله وبلوغ غايته[٢٦٧]:

الْجِدُّ فِي الجِدِّ وَالحِرْمَانُ فِي الكَسَلِ ... فَانْصَبْ تُصِبْ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الأَمَلِ

ولحظ هذه المعاني الطغرائي، فوجد أن حب السلامة هو الذي يثبط الهمم، ويشد الإنسان إلى الذل والهوان، يقول في ذلك[٢٦٨]:

حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِي عَزْمَ صَاحِبِهِ ... عَنِ المَعَالِي وَيُغْرِي المَرْءَ بِالكَسَلِ

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا ... فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجوِّ مُعْتَزِلِ

أما ذرا المجد، ومراتب العز والشرف فلن يصل إليها إلاّ الطموح الذي يحب المغامرة ويركب المخاطر، ويخوض غمارها. فيقول[٢٦٩]:

وَدَعْ غِمارَ العُلَى لِلْمُقْدِمِيْنَ عَلَى ... رُكُوبِهَا، وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالبَلَلِ

يَرْضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةً ... والعِزُّ عِنْدَ وَسِيمِ الأَيْنَقِ الذَّلَلِ

ومن طلب العلا لا يركن إلى الراحة والدعة، بل لابدَّ من التنقل والتقلب في البلاد سعيًا وراء المجد والعز. ومن يتأمل حركة الشمس في دورانها، ومغزى نشاطها، لاستفاد في فهم أن المعالي يحتاج ارتقاؤها إلى سعي وهمة متواصلين. يقول الصفدي[٢٧٠]:

إِنَّ العُلَى حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ ... فِيما تُحَدِّثُ أَنَّ العِزَّ فِي النُّقَلِ

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغُ مُنًى ... لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ

---

[٢٦٧] الصفدي: الغيث المنسجم في شرح لامية العرب، ج٢، ص٤٥.

[٢٦٨] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٧٧.

[٢٦٩] المصدر السابق، ٢/٧٧.

[٢٧٠] الصفدي: الغيث المنسجم، ٢/٨٥.

www.mtenback.com

وأوجز المتنبي في هذا الموضوع، فأجاد. قال[٢٧١]:

وَإِذَا كَـانَتِ النُّفُـوسُ كِبَـارًا تَعِبَـتْ في مُرادِهَـا الأَجْسَـامُ

الحكمة في التأني:

إن من الحزم لكل عاقل ألاَّ يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بعد ترو وتمهـل، وألاَّ يسرع في ذلك، لأن في التأني والتمهل تتضح الأمور وتتكشف حقائقها. أما المتعجل فإنه يقدم على أمر لا يعرف كنهه، وربـما فاته ذلك الأمر بسبب عجلته. جاء في عيـون الأخبار[٢٧٢]: «أناةٌ في عواقبها دَرَك خير من معاجلة، في عواقبها فوت». فالعاقل مـن يتروى في الأمر حتى يتضح له الصواب فيه، وعندئذ يمضيه. قال أحـد الحكمـاء[٢٧٣]: «روِّ بحزم، فإذا استوضحت فاعزم».

وللأمور مواقيت محددة، لا تقضى إلاَّ إذا حانَ وقتها، ومادام الحال كذلك، فلم العجلة. يقول الشاعر[٢٧٤]:

وَلِلأُمُـورِ مَوَاقِيـتٌ مُقَـدَّرَةٌ وَكُـلّ أَمْـرٍ لَـهُ حَـدٌّ وَمِـيْزَانُ

فَلاَ تَكُنْ عَجِـلاً في الأَمْـرِ تَطْلُبُـهُ فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّصْـحِ بَحْـرَانُ

والمتأني يدرك بغيته وحاجته، والزلل والخطأ يكون مع التعجل وعدم الـتروي. يقول القطامي[٢٧٥]:

قَدْ يُـدْرِكُ المُتَـأَنِّي بَعْـضَ حَاجَتِـهِ وَقَدْ يَكُونُ مَـعَ المُسْـتَعْجِلِ الزَّلَـلُ

---

[٢٧١] المتنبي: ديوانه، ٣/٣٥٤.

[٢٧٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٩٠

[٢٧٣] المصدر السابق، ج١، ص٩٠.

[٢٧٤] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٨٨.

[٢٧٥] المصدر السابق، ص ٤٦٤.

www.mtenback.com

وعلى المرء ألا يتعجل في الإقدام على الأمر، دونما التفكـــر بعواقبـــه ومعرفـــة مايترتب عليه من نتائج ففي ذلك السلامة. يقول الشاعر(٢٧٦):

لاَ تَعْجَلَـنَّ إِلى شَـــرِيعَةِ مَـــوْرِدٍ حَتَّـــى تَبَيَّـــنَ خُطَّـــةَ الإِصْـــدَارِ

ولكن إذا كانت العجلة غير محمودة في كثير من الأمور، فإن ثمة حالات لاتحتاج إلى طويل تأن، ولاكثير تمهل، بل الحكمة في الإسراع بإمضائها. يقول القطامي(٢٧٧):

وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمًـــا بَعْـــضُ أَمْرِهِـــمُ مِنَ التَّأَنِّي وَكَانَ الحَزْمُ لَـــوْ عَجِلُـــوا

فلربما أضاع التمهل غير المحمود بعض الفرص. قال الشاعر(٢٧٨):

وَعَاجِزُ الـــرَّأْيِ مِضْيَـــاعٌ لِفُرْصَتِـــهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَـــاتَبَ القَـــدَرَا

الحكمة وأدب النفس:

النفس البشرية مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة، لا يستغني بمحمودها عن التأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب، لأن لمحمودها أضدادا مقابلة، يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة، فإن أُغفل تأديبها توكلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بـــالطبع، أدى ذلك إلى عدم درك المجتهدين، فصار المرء من الأدب عاطلاً، وفي صورة الجهـــل داخلاً(٢٧٩).

فلابد من تعهد النفس وإكسابها الفضائل وتزيينها بمكارم الأخلاق، لأن الآداب والفضائل مكتسبة بالتجربة ومستفادة بالدُّربة والمعاطاة، وقد لمح ذلك أبو الفتح البستي، فقال(٢٨٠):

---

(٢٧٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣/٩٠.

(٢٧٧) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٦٨.

(٢٧٨) البستي: ديوانه، ص١٨٣.

(٢٧٩) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٦٨.

(٢٨٠) البستي: ديوانه، ص ١٨٣.

www.mtenback.com

يا خادمَ الجِسْمِ كَمْ تَسْعى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضائِلَها ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

وبالفضائل والقيم يعدُّ الإنسان إنسانًا كاملاً فعلى الحكيم أن يسعى لاستكمالها في نفسه والتشبع منها، يقول حسام الدين الواعظي[٢٨١]:

مَا المَرْءُ إِلاَّ الَّذي طَابَتْ فَضائِلُهُ ... وَالدِّينُ زَيْنٌ يُزِينُ العَاقِلَ الفَهِمَا

وقيمة المرء بعلمه وأدبه وما يحسنه، فهذه غاية حياته ونفعها. قال ابن أبي بكر المقّري[٢٨٢]:

وقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَدْرُ مَا يحسنُه ... فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَا تَعْلُو بِهِ وَصِلِ

والعلم جمال العاقل، وآفة الإنسان الطيش. وفي ذلك يقول الشاعر: [٢٨٣]

وفي العِلْمِ زَيْنٌ لأهلِ الحِجا ... وَآفَةُ ذِي الحِلْمِ طَيْشُ الغَضَبْ

وعدَّ بعضهم الفضائل ومكارم الأخلاق صلة للعبد بربه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٨٤]: «إن الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم، فحسب الرجل أن يتصل من الله بخلق منها».

ولهذا كله دعوا إلى تأديب النفس وإكسابها فضائل الأخلاق، بل عدوا ذلك أولى من الطعام والشراب. يقول ابن المقفع[٢٨٥]: «مانحن إلى مانتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب، بأحوج منا إلى الأدب الذي هو لقاح عقولنا».

---

[٢٨١] المصدر السابق، ص ٤٣٥.

[٢٨٢] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٣٢.

[٢٨٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٦٩.

[٢٨٤] المصدر السابق، ص ١٦٨.

[٢٨٥] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

فلا يزين النفس، ويكسبها نضارتها إلاّ الآداب والفضائل. قال أعرابي حكيم يوصي ابنه[٢٨٦]: «يابنّي الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها».

والإنسان بأخلاقه وفضائله وأعماله، وليس بأصله، ونسبه، بل إن أصله هو ما اكتسبه من قيم، وما حصله من أعمال. وفي ذلك يقول ابن الوردي[٢٨٧]:

لا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا ... إِنَّما أَصْلُ الفَتى ما قد حَصَلْ

قَدْ يَسُودُ المَرْءُ من دون أَبٍ ... وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يَنْفِي الدَّغَلْ

إِنَّما الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَما ... يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إِلاَّ مِنْ بَصَلْ

قِيمَةُ الإِنْسانِ مايُحْسِنُهُ ... أَكْثَرَ الإِنْسانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ

الحكمة وعدم الأخذ بظواهر الأمور:

لكل أمر ظاهر وباطن، وفي أغلب الأحيان لا ينبئ الظاهر عن الباطن، والعاقل هو الذي لا يأخذ الأمور بظواهرها، بل يبحث عن جوهرها، ويسبر غورها ليكتشف حقائقها، ويميز الغثّ من السمين، فكم من يبدى لك الودّ والمحبة وفي داخله حقد دفين. وعلى الإنسان أن يعرف عدوه من صاحبه، وألا يغترّ بالمظاهر والقشور. وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب[٢٨٨]:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمُ إِخوانَكُمْ ... يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

---

[٢٨٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٦٨.

[٢٨٧] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣٧.

[٢٨٨] المفضل الضبي: المفضليات، ص١٤٧.

www.mtenback.com

فَضَلَتْ عَدَوَاتُهُم علـــى أَحْلامِهِـــمْ وَأَبَتْ ضِبابُ صُدُورِهِـــمْ مـــاتَتْرَعُ

وما أكثر ما تكون الابتسامات الوديعة والكلمات الطيبة في مظاهرها، مصـــايد تحمل السمّ الناقع.

ومن لا يدرك بواطن الأشياء ولا يستشفّ من ظواهرها يعمى عن درك الحقائق، فكم من رجل تحسبه في سعادة وسرور وهو في شقاء مقيم. يقول ابن المعتز[٢٨٩]:

كَم راسِبٍ فِي غِمارِ المُلْكِ تَحْسَـــبُهُ فِي لَذَّةٍ وَهْوُ فِي هَـــمٍّ وَفِـــي كَمَـــدِ

وربما أعجب الإنسان بهيئة شخص، فإذا ما اختبره وجده لا رأي له ولا عقل، وآخر يحسبه الإنسان أحمق، وهو في غاية الفهم، وصاحب رأي سديد. وفي ذلك يقول عبد الله بن معاوية[٢٩٠]:

وَكَـــمْ مِـــنْ فَتـــى عـــازِبٍ لُبُّـــهُ وَقَدْ تَعْجَبُ العَيْـــنُ فِـــي شَـــخْصِهِ

وَآخَـــرُ تَحْسَـــبُهُ أَنْوَكًـــا وَيَـــأْتِيكَ بِـــالأَمْرِ مَـــنْ فَصَّـــهِ

ومن المظاهر الخداعة، الاغترار بجمال لباس الشخص وحسن بزتـــه، أو جـــودة أثاث بيته، ولا طائل تحت ذلك من علم أو خلق كريـــم. وفي هـــذا المعنـــى يقـــول الحريري[٢٩١]:

وَمِـــنَ الغَبـــاوَةِ أَنْ تُعَظِّـــمَ جَـــاهِلاً لِصِقـــالِ مَلْبَسِـــهِ وَرَوْنَـــقِ نَقْشِـــهِ

أَوْ أَنْ تُهِـــينَ مُهَذَّبًـــا فِـــي نَفْسِـــهِ لِـــدُرُوسِ بِزَّتِـــهِ وَرَثَّـــةِ فَرْشِـــهِ

---

[٢٨٩] ابن المعتز: ديوانه، بيروت، دار صادر، (١٩٦١م)، ص١٤٧.

[٢٩٠] عبد الله بن معاوية: شعر عبد الله بن معاوية، ص٥١.

[٢٩١] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٤٨.

www.mtenback.com

وعلى الإنسان ألا تُعميه ظواهر الأشياء وزخارفها، بل عليه أن يصل إلى حقيقتها ومعدنها، وهذا لا يكون إلا بامتحان واختبار. يقول العباس بن مرداس[٢٩٢]:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَريه ... وَفي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مُزيرُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَليه ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّريرُ
فَما عِظَمُ الرِّجالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
بِغُاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخٌ ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاةٌ نَزُورُ
ضِعافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُها جُسُومًا ... وَلَمْ تَطُلِ البُزاةُ وَلا الصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ البَعيرُ بِغَيْرِ لُبٍ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البَعيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى الخَسْفِ الجَريرُ

الحكمة والطبع والتطبع:

كل إنسان سيعود إلى طبعه، وإلى ما جبل عليه من شيم وأخلاق مهما حاول أن يظهر بمظهر خادع، أو يستعير جلدًا ليس له. وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى[٢٩٣]:

وَمَهْما تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خالَها تَخْفى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

فالتكلف أمره قصير، سينكشف ولو بعد حين، بل هو داء لا دواء له. يقول طرفة[٢٩٤]:

إِنَّ التَّكَلُّفَ دَاءٌ لا دَواءَ لَهُ ... وَكَيْفَ آمَنُ دَاءً لا أُداوِيهِ

---

[٢٩٢] الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٢٥.

[٢٩٣] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، ص٣٢.

[٢٩٤] طرفة بن العبد: ديوانه، ص ١٣٧.

www.mtenback.com

إِنَّ الفَتى لَيْسَ فِي الأَشْياءِ يَفْضَحُـــهُ إِلاَّ تَكَلُّفُـــهُ مـــا لَيْـــسَ يَعْنِيـــهِ

لأن النفس تنزع إلى طبعها ومافطرت عليه. يقول كثير عزة[٢٩٥]:

وَمَنْ يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِـــهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلى النَّفْـــسِ خِيمُهـــا

ومعدن النفس لا يلبث أن ينكشف، وتظهر أخلاقها سريعًا، خيرًا أو شرًا. يقول المتنبي[٢٩٦]:

وَلِلنفْسِ أَخْلاقٌ تَدَلُّ عَلـــى الفَتـــى أَكانَ سَخاءً مـــا أَتـــى أَمْ تَســـاخِيا

الحكمة والتقوى:

إن تقوى الله مصدر لكل الفضائل، وحرز من كل الرذائل وخير ما تمسك بـــه الإنسان من دنياه، تقوى الله تعالى، لأنها تقوده إلى بر الأمان، وهي النجاة في الدارين. يقول أبوالفتح البستي[٢٩٧]:

مَنْ يَتَّـــقِ اللهَ يَحْمَـــدْ فِـــي عَواقِبِـــهِ وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَـــزُّوا وَمَـــنْ هـــانُوا

وهي الظل التي يتفيؤه المرء، ولاظل سواها مهما بدا مورقًا مزهرًا. يقول أبوبكر المقري[٢٩٨]:

لا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرَى مِنْ نَهًى وَتُقَـــى وَإِنْ أَظَلَّتْـــهُ أَوْراقٌ وَأَفْنـــاءُ

والتقوى هي الموصلة إلى أسمى الغايات وأنبلها. يقول ابن الوردي[٢٩٩]:

وَاتَّـــقِ اللهَ فَتقـــوى اللهِ مـــا جاوَرَتْ قَلْـــبَ امْـــرِئٍ إِلا وَصَـــل

---

[٢٩٥] كثير عزة، ديوانه، ص١٤٨.

[٢٩٦] المتنبي: ديوانه، ج٤، ص٢٨٤.

[٢٩٧] البستي: ديوانه، ص ١٨٧.

[٢٩٨] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣١.

[٢٩٩] المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

www.mtenback.com

والفوز والفلاح مقرونان بالتقوى، والهيبة والبهاء من سمات التقي. يقول صالح ابن عبد القدوس[٣٠٠]:

فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ ... إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الأَهْيَبُ

والتقوى هي القوة الحقيقية، والبطولة الحق، وما سواها فهو بطولة زائفة. يقول ابن الوردي[٣٠١]:

لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرقًا بَطلاً ... إِنَّما مَنْ يَتَّقِي اللهَ البَطَلْ

وخير حكمة في ذلك قول الحق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٣٠٢].

الحكمة والزمان:

الدهر قلّب، والزمن دوّار، فمن سرّه زمن، ساءته أزمان. فالدهر لا يؤمن جانبه، ولا يركن إلى مافيه من نعيم زائل، فغصصه لا تترك المرء يستمرئ لذاته، بل هو دائمًا على تخوّف منه. يقول صالح بن عبد القدوس[٣٠٣]:

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُونَ لأَنَّهُ ... مَازَالَ قِدْمًا لِلرِّجَالِ يُهَذِّبُ

وَكَذَلِكَ الأَيَّامُ فِي غُصَّاتِهَا ... مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الأَعَزُّ الأَنْجَبُ

فلا يظنّ المرء بالأيام خيرًا، بل عليه أن يتوقع منها الشر، وليكن منها دائمًا على وجل وحذر، فعيشها كدر، لا يرجى صفوه، والدنيا زائلة فانية، لا بقاء لها، فسرعان ما تنحسر كانحسار الظل. وفي هذا المعنى يقول الطغرائي[٣٠٤]:

---

(٣٠٠) الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٢٩.

(٣٠١) المصدر السابق، ص ٤٣٦.

(٣٠٢) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٣٠٣) الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٢٨.

(٣٠٤) المصدر السابق، ص ٤٤٢.

www.mtenback.com

وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

ياوارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ ... أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِي أَيَّامِكَ الأُوَلِ

فِيمَ اقْتِحامُكَ لُجَّ البَحْرِ تَرْكَبُهُ ... وَأَنْتَ تَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الوَشَلِ

تَرْجُو البَقاءَ بِدارٍ لا ثَبَاتَ بِها ... فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

والدنيا، ما حالها؟ ترفع أناسًا، وتخفض آخرين، فكم من جاهل اغتنى، وكم من عالم فيها افتقر، وكم من شجاع لم ينل شيئًا، وكم من جبان نال ما يريد. يقول ابن الوردي[٣٠٥]:

اطْرَحِ الدُّنْيا فَمَنْ عاداتِها ... تَخْفِضُ العالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ

عِيشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِها ... عِيشَةُ الجاهِلِ فِيها أَوْ أَقَلْ

كَمْ جَهُولٍ باتَ فِيها مُكْثِرًا ... وَعَلِيمٍ باتَ مِنْها فِي عِلَلْ

كَمْ شُجاعٍ لَمْ يَنَلْ فِيها المُنى ... وَجَبانٍ نَالَ غاياتِ الأَمَلْ

والدنيا سراب، يقصده الظمآن فلا يجد عنده شيئًا، فيقصد سرابًا آخر وهكذا. جاء في عيون الأخبار[٣٠٦] «وما الدنيا ! أمَّا مامضى فحلم، وأمَّا مابقي فأماني».

والدهر لايؤمن جانبه، فإن سالم أهله أوقات قصيرة، فإنّه يأذن بحرب شرسة. يقول الصفدي[٣٠٧]:

مَنْ سَالَمَتْهُ اللَّيالِي فَلْيَثِقْ عَجِلاً ... مِنْها بِحَرْبِ عَدُوٍّ جَاءَ بِالحِيَلِ

---

[٣٠٥] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣٧.

[٣٠٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٣٥٥.

[٣٠٧] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣٥.

www.mtenback.com

وللزمان والأيام صروف ونوائب تتتابع، فإذا انصرف أولها فتك بالمرء آخرها. وفي هذا المعنى يقول عنترة بن شداد[٣٠٨]:

فَيالَهُ مِنْ زَمانٍ كُلَّما انْصَرَفَتْ ... صُروفُهُ فَتَكَتْ فِينا عَواقِبُهُ

دَهْرٌ يَرى الغَدْرَ مِنْ إحْدى طَبائِعِهِ ... فَكَيْفَ يَهْنَأُ بِهِ حُرٌّ يُصاحِبُهُ

جَرَّبْتُهُ وَأَنا غِرٌّ فَهَذَّبَني ... مِنْ بَعْدِ ماشَيَّبَتْ رَأْسي تَجارِبُهُ

وَكَيْفَ أَخْشى مِنَ الأَيّامِ نائِبَةً ... وَالدَّهْرُ أَهْوَنُ ماعِنْدي نَوائِبُهُ

إن هذا القول صادر من رجل حكيم جرَّب الأيام وعركها وعركته، ولما عرف حقيقتها ما عاد يخشاها، لأنَّها هانت عليه فعلمته الحكمة في القول وبصرته بالتجربة.

وللدهر صولة ينبغي الحذر منها، فكم من فتى بات آمنًا مسرورًا، صحيح الجسم، فأصبح وقد أنشبت المنية أظفارها به. يقول عدي بن زيد العبادي[٣٠٩]:

قَدْ أَرانا وَأَهْلُنا بِحَفيرٍ ... نُحِبُّ الدَّهْرَ وَالسِّنينَ شُهورا

فَأَمِنّا وَغَرَّنا ذاكَ حَتّى ... رَاعَنا الدَّهْرُ، قَدْ أَتانا مُغيرا

إنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فاحْذَرَنْها ... لا تَبيتَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدُّهورا

قَدْ يَنامُ الفَتى صَحيحًا فَيَرْدَى ... وَلَقَدْ باتَ آمِنًا مَسْرورا

ومصائب الدهر لا واق منها، والموت نهاية كل حي. يقول الممزق العبدي[٣١٠]:

هَل لِلفَتى مِنْ بَناتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ ... أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِ

---

[٣٠٨] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، ص٩١.

[٣٠٩] عدي بن زيد العبادي: ديوانه، تحقيق: محمد جابر المعيبد، بغداد ١٩٦٧م، ص ٦٤.

[٣١٠] ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، (١٩٥٢م) ج١، ص ٣٣

www.mtenback.com

والدهر لا يُعْتب أحدًا، مهما جزع الإنسان. تقول سعدى بنت الشمردل[٣١١]:

إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمَنُوْنَ كِلَيْهِمَا ... لاَ يُعْتِبَانِ وَلَوْ بَكَى مَنْ يَجْزَعِ

وإذا كانت هذه حال الزمن، فالعجب كل العجب ممن لا يتعظ، ولا يرعوي عن غيِّه، فيظل سادرًا في ملذاته. يقول الإمام علي الرضا[٣١٢]:

وَاعَجَبًا لِلْمَرْءِ فِي لذَّتِهْ ... يَجُرُّ ذَيْلَ التِّيْهِ فِي خَطْرَتِهْ

يَزْجُرُهُ الوَاعِظُ لاَ يَنْتَهِي ... كَأَنَّهُ الْمَيِّتُ فِي سَكْرَتِهْ

ويقول أبو العتاهية متعجبًا أيضًا[٣١٣]:

عَجِبْتُ لِذِيْ لَعِبٍ قَدْ لَهَا ... عَجِبْتُ وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ

أَنَلْهُو وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسُهُ ... تَمُوْتُ وَمَنْزِلُهُ يَخْرَبُ

وإذا كان الزمان لا تؤمن غوائله، وديدنه التقلب والتحوّل، ولا يستطيع الإنسان أن يغير في مجرى الزمن، فما على المرء إلاّ الصبر والرضا، والاستسلام لقضاء الله استسلامًا تامًا، والرضا بما قدَّر الله تعالى، فلا يضعف أمام صروف الدهر. يقول الإمام الشافعي في هذه المعاني[٣١٤]:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ... وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ

وَلاَ تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي ... فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الأَهْوَالِ جَلْدًا ... وَشِيْمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالسَّخَاءُ

---

[٣١١] الأصمعي: الأصمعيات، ص ١٠٢.

[٣١٢] الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٣٢.

[٣١٣] أبو العتاهية: ديوانه، ص ٥١.

[٣١٤] الشافعي: ديوانه، ص ١٥٥.

www.mtenback.com

فَـلاَ حُـزْنٌ يَـدُوْمُ وَلاَ سُـــرُوْرٌ وَلا عُسْـرٌ عَلَيْـــكَ وَلاَ رَخَـــاءُ
وَمَـنْ نَزَلَـتْ بِسَـاحَتِهِ الْمَنَايَـــا فَـلاَ أَرْضٌ تَقِيْـــهِ وَلاَ سَـــمَاءُ

إن أبواب الحكمة لا تُحْصى ولا تُعَدُّ، وإنّ اللبيب يقضي جُلّ حياته يـــترقى في منازلها، وينهل من جواهرها، حتى لكأنه بعد ذلك الإنسان الكامل، الذي يحقق المثـــل الأعلى للدور الذي ارتضاه الخالق الكريم له، بالخلافة على الأرض، لينال خير الدنيـــا والآخرة، ولا تكون الحكمة في شيء من تصرفات الناس إلا عادت بالخير على الحكيـــم وعلى من حوله، ومن يعيش معه وتربطه به روابط الحياة المختلفة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... الآية﴾	٢١٦	٢١
	﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... الآية﴾	٢٦٩	٩، ٣٧
	﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ... الآية﴾	٢٧٢	٤٨
	﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا... الآية﴾	٢٨٦	٣٩
آل عمران	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا... الآية﴾	٢٠٠	٥٩
المائدة	﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ...﴾	١٠٠	٢١
الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ... الآية﴾	١٩٩	٥٩
يونس	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ... الآية﴾	١	٢٠
هود	﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ... الآية﴾	١	٢٠
يوسف	﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... الآية﴾	٥٣	٦٥
الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا... الآية﴾	١١	٢١
إبراهيم	﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ... الآية﴾	٧	٣٨
الإسراء	﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ... الآية﴾	٨٥	٢١
النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ... الآية﴾	١٢٥	٢١
الحج	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ... الآية﴾	١٨	٣٩
النمل	﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى... الآية﴾	٢٠	٢١
	﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ... الآية﴾	٢١	٢٢
	﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... الآية﴾	٢٧	٢٢
	﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ... الآية﴾	٣٠-٣١	٢٢
	﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا... الآية﴾	٣٦-٣٧	٢٢
العنكبوت	﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ... الآية﴾	٤٣	٦٨

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
لقمان	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ.... الآية﴾	١٢	٣٧
	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ... الآية﴾	١٨	٣٩
الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... الآية﴾	٢١	٢٤
فاطر	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ... الآية﴾	٤٣	٢١
الزمر	﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا.... الآية﴾	٩	٦٨
	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.. الآية﴾	١٠	٣٨
فصلت	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ... الآية﴾	٣٤-٣٥	٥٧
	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ... الآية﴾	٤٢	٢٠
الزخرف	﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ.... الآية﴾	١٧	٥٥
ق	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ... الآية﴾	١٧	٤٤
النجم	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى... الآية﴾	٣	٢٣
الطلاق	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا... الآية﴾	٢	٣٨، ٨١
الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا... الآية﴾	٩-١٠	٦٦
الليل	﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى... الآية﴾	٨-١١	٤٨
الشرح	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ... الآية﴾	١	٢٢
	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا... الآية﴾	٥-٦	٦١

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اعقلها وتوكل»	٢٤
«الحكمة ضالة المؤمن...»	٢٣
«الصبر ضياء»	٥٩
« لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحد مرتين»	٢٣
«اللهم علمه الحكمة»	٤٢
«ما من يوم يصبح العباد...»	٤٨
«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»	٢٣
«من أخلص لله أربعين يوماً...»	٤١
«هل يكب الناس في النار...»	٤٤
«اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»	٢٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
مَن لم	الورى	ابن وكيع	١	٥٤
		ـــ أ ـــ		
خليليّ	أوذَار	النابغة الجعدي	٥	٣٢
وأغض	مأواها	عنترة بن شداد	١	٦٧
		ـــ ء ـــ		
فلا تغرنك	قعساءُ	أبو العلاء المعري	٢	٣٥
يعيش	اللحاءُ	–	١	٦٣
إذا قلّ	ماؤهُ	طرفة بن العبد	٢	٦٣
إذا لم	تشاءُ	–	١	٦٣
لا ظِلّ	أفناءُ	أبو بكر المقرّي	١	٨٠
ويُظهر	سخاؤه	صالح بن عبدالقدوس	٢	٤٩
وربّ	الحياءُ	–	١	٦٣
دع	القضاءُ	الإمام الشافعي	٥	٨٤
ليس من	الأحياءِ	عدي بن رعلاء	٢	٣٠
		ـــ ب ـــ		
ليست	الغضبْ	–	١	٥٨
وفي العلم	الغضبْ	–	١	٥٩
العلم	صحبا	الطغرائي	٤	٦٩
وكم ذنبٍ	اقترابُ	المتنبي	١	٣٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ألا كلّ	شاجبُ	عامر بن الطفيل	١	٣٠
واحذر	الأجرب	صالح بن عبدالقدوس	٣	٥١
ولست	المهذب	النابغة الذبياني	١	٥٥
فعليك	الأهيب	صالح بن عبدالقدوس	١	٨١
احفظ	ويعطب	–	١	٤٧
لا تأمنِ	يهذبُ	صالح بن عبدالقدوس	٢	٨١
فياله من	عواقبُه	عنترة بن شداد	٤	٨٣
عجبتُ	أعجب	أبو العتاهية	٢	٨٤
ألم تر	التجاربِ	–	١	١٤
ثنتان	الجنبِ	عمر بن أبي ربيعة	٢	٦٦
عدوّك	الصحابِ	ابن الرومي	٣	٥٣
من يدعي	الغضب	–	١	٥٨
لقد حلبت	حلبي	قس بن ساعدة	٦	١٥
— ت —				
واعجباً	خطرته	الإمام علي الرضا	٢	٨٤
— ج —				
إن الأمور	ارتتجا	محمد بشير	٣	٦١
— ح —				
يا أيها	برحْ	–	٢	٦٢
كل خليل	واضحَهْ	طرفة بن العبد	٢	٢٧
— د —				
إذا أنت	تمردا	المتنبي	١	٣٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
إن الفراغ	مفسدَهْ	أبو العتاهية	١	٣١
حتى	تنقدِ	قيس بن الخطيم	١	١٧
متى	تهتدِ	قيس بن الخطيم	١	١٦
كم راسب	كمدِ	ابن المعتز	١	٧٨
ولقد	السوادِ	–	١	٦٤
إن الحسود	الحاقدِ	الطغرائي	٣	٥٦
جامل	الفاسدِ	الطغرائي	٢	٥٦
فاصبر	الخالدِ	الطغرائي	٣	٥٦
أبلوا	وتفقدِ	المقنع الكندي	٢	٥٤
عن المرء	مقتدِ	طرفة بن العبد	١	٥٢
ولا تصحبن	للمواعدِ	علي بن أبي طالب	٢	٥١
أحكم	الثمدِ	النابغة الذبياني	١	٢٥
ستبدي	تزوّدِ	طرفة بن العبد	١	١٩
		ـ ر ـ		
في الذاهبين	بصائرْ	قس بن ساعدة	٣	١٦
إني لألقى	ساهرَهْ	النابغة الذبياني	٢	٢٩
وعاجز	القدرا	–	١	٧٥
ولا خير	يكدّرا	النابغة الجعدي	٢	٥٩
قد أدانا	شهورا	عدي بن زيد	٤	٨٣
ترى	مزيرُ	العباس بن مرداس	٣	١٢
ترى	مزيرُ	العباس بن مرداس	٧	٧٩
اترك	سترُ	–	٢	٥٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
تهون	المهر	أبو فراس الحمداني	١	٧٢
اطلب	الجار	–	١	٦٧
وفي الجهل	قبور	–	٢	٧٠
عسى	أمر	–	٢	٦١
وإن المجد	خير	عمر بن الأهتم	٤	٣٢
ألا رُبّ	يفري	سويد بن الصامت	٤	٥٤
لا تعجلنّ	الإصدارِ	–	١	٧٥
— ش —				
ومن الغباوة	نقشه	الحريري	٢	٧٨
— ص —				
إذا كنت	توصه	طرفة بن العبد	١٠	١٣
وكم من	شخصه	عبدالله بن معاوية	٢	٧٨
ولا تذكر	تحصه	عبدالله بن معاوية	١	٤٥
— ع —				
الألمعي	سمعا	أوس بن حجر	١	٤٠
بلينا	المصانعُ	لبيد بن ربيعة	١٢	١٧
إن الذين	تصرعوا	عبدة بن الطبيب	٢	٧٧
هوّن	يندفعُ	الباهلي	٣	٦٢
وما ضاع	تضيعُ	–	١	٤٩
لعمرك	صانعُ	لبيد بن ربيعة	١	٢٥
إن الحوادث	يجزعِ	سعدى بنت الشمردل	١	٨٤
كمال	القنوعِ	الشماخ بن الضرار	١	٢٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ف ـ		
ليت	انكشفا	طرفة بن العبد	١	٨
		ـ ق ـ		
وإذا عجزت	وفاقُ	ابن نباتة	٢	٥٧
ما نحن	افترقوا	أبو العتاهية	١	٣١
وزنِ	المنطقُ	صالح بن عبدالقدوس	١	٤٤
هل الفتى	راقِ	الممزق العبدي	١	٨٣
لقد حسوتُ	ذوقِه	عمرو بن أمامة	٤	٢٧
		ـ ك ـ		
كم من	يجفوكَ	–	١	٥٢
		ـ ل ـ		
ليس	البطلْ	ابن الوردي	١	٨١
اطرح	سفَلْ	ابن الوردي	٤	٨٢
واتقِ	وصلْ	ابن الوردي	١	٧٦
لا تقل	حصلْ	ابن الوردي	٤	٧٧
ومن يك	الزلالا	المتنبي	١	٣٤
إذا طال	عقَلا	–	١	١٥
يا رُبَّ	طويلا	أبو العتاهية	١	٣١
قد يدرك	الزللُ	القطامي	١	٤٧
ألا إن	فضولُه	أبو العتاهية	١	٤٦
لسان	مقتلُ	–	٢	٤٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
صنِ	جميلُ	صالح بن عبدالقدوس	١	٦٥
ربما فات	عجلوا	القطامي	١	٧٥
إذا قيل	جهلُ	المتنبي	١	٥٩
وإن لسان	لدليلُ	طرفة بن العبد	١	٤٥
ويا خبيراً	الزللِ	الطغرائي	١	٤٧
صبرِ	المحتالِ	عبيد بن الأبرص	٣	٦٠
يموت	الرجل	–	٢	٤٦
أعدى	دخل	الطغرائي	٢	٥٥
أتدري	واحتمالهْ	أبو العتاهية	٢	٥١
تريدين	النحلِ	المتنبي	١	٧٢
وفتىً	خالِ	–	٢	٥٠
يغوص	الليالي	–	٢	٧٢
الجد	الأملِ	الصفدي	١	٧٣
ودع غمار	بالبللِ	الطغرائي	٢	٧٣
وحسنٌ	وجلِ	الطغرائي	٤	٨٢
إنما جاري	عيالي	جساس بن مرة	٣	٦٧
حب	بالكسلِ	الطغرائي	٢	٧٣
إن العلى	النقلِ	الصفدي	٢	٧٣
وقيمة	صلِ	ابن أبي بكر المقرّي	١	٧٦
رأيت	قيلِ	–	٣	٦٣
من سالمته	بالحيلِ	الصفدي	١	٨٢
— م —				
أكرم	كرمْ	المثقب العبدي	١	٦٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
والمرءُ	الفهما	حسام الدين الواعظي	١	٧٦
والعلم	الندما	حسام الدين الواعظي	٢	٦٩
وأبغضْ	تحكما	النمر بن تولب	١	٨
لا تضبط	حكمَا	عمرو بن قميئة	٢	١٢
تلذّ	الغرامُ	المتنبي	١	٣٣
ومن يبتدع	خيمُها	كثير بن عبدالرحمن	١	٨٠
يا أيها	التعليمُ	أبو الأسود الدؤلي	٣	٦٥
فاترك	وخيم	أبو الأسود الدؤلي	٣	٦٥
وإذا كانت	الأجسام	المتنبي	١	٧٤
فاقنع	علامُها	لبيد بن ربيعة	١	٣٠
من يهن	إيلام	المتنبي	١	٣٤
أنبئت	تعلمُ	مالك بن خزيم	٣	١٨
وشبه	الطغامُ	المتنبي	١	٣٣
لا تنه	عظيمُ	أبو الأسود الدؤلي	٣	٦٤
سئمت	يسأمِ	زهير بن أبي سلمى	٤	١١
سئمت	يسأمُ	زهير بن أبي سلمى	١	١١
تداركتما	منشم	زهير بن أبي سلمى	١	٢٥
ومن يك	ويُذمم	زهير بن أبي سلمى	١	٥٠
إذا شئت	والشتم	المرار بن سعيد	١	٥٨
ومهما تكن	تعلم	زهير بن أبي سلمى	١	٧٩
وكائن	التكلم	الأعور الشني	٢	٤٧
إذا غامرت	النجوم	المتنبي	٢	٣٣
إن عابني	الندم	–	١	٤٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فتنتج	فتفطم	زهير بن أبي سلمى	١	٢٥
لا يبلغ	لأقوامِ	–	٢	٥٨
		ـــ ن ـــ		
أيها	منه	عبدالله بن معاوية	٣	٤٧
خير	أينا	كثير بن عبدالرحمن	٢	٥٣
وارني لأرى	عريانا	–	١	٦٤
وصاحب	وهنا	المثقب العبدي	٤	٥٢
والقول	يعينُه	أحيحة بن الجلاح	١	٤٤
من سالم	جذلانُ	أبو الفتح البستي	٢	٥٧
من استنام	ثعبانُ	ابن وكيع	١	٥٧
يا خادم	خسران	البستي	٢	٧٦
يا أيها	ريان	البستي	٢	٧٠
لا يفطنون	فطن	قيس بن الخطيم	١	٦٧
وللأمور	ميزان	–	٢	٧٤
ومن يتق	هانوا	أبو الفتح البستي	١	٨٠
دع	كسلانُ	أبو الفتح البستي	١	٧٢
أحسن	إحسان	أبو الفتح البستي	٢	٥٠
لا يُعجبنّ	الكفنِ	المتنبي	١	٣٤
كل امرئ	حينِ	ذو الأصبع العدواني	١	٣٠
فإما أن	سميني	المثقب العبدي	٢	٥٣
يا ساعيا	والدينِ	–	٤	٦٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ي ـــ		
وللنفس	تساخيا	المتنبي	١	٨٠
إن التكلف	أداويه	طرفة بن العبد	٢	٧٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«إن الجبان حتفه من فوقه»	٢٧
«ويكفيك من شر سماعه»	٢٦
«حيلة من لا حيلة له الصبر»	٢٧
«خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع»	٢٨
«شر الرأي الدبرى»	٢٦
«قتل أرضاً عالمها، وقتلت أرضٌ جاهلها»	٢٦
«كل مجر في الخلا يسر»	٢٧
«كل امرىء في بيته صبي»	٢٧
«لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجرئ عليك»	٢٦
«لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا»	٢٦
«من العناء رياضة الهرم»	٢٦

موقع الدكتور مرتضى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الأبهري، عبيد الله بن محمد:

حدائق الأدب، تحقيق: محمد بن سليمان السديس.

الأشقر، محمد سليمان عبدالله:

زبدة التفسير من فتح القدير - مختصر من تفسير الامام الشوكاني المسمى فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية في علم التفسير، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، د.ت.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب:

الأصمعيات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٩م.

أوس بن حجر:

ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي:

صحيح البخاري، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

التبريزي، يحيى بن علي:

شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي:

المقابسات، حققه وقدم له محمد توفيق حسين، بغداد، مطبعة الإرشاد ١٩٧٠م.

www.mtenback.com

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ.

الجلاح، أُحيحة بن الأوس الجاهلي:

ديوانه، دراسة وجمع وتحقيق: د. حسن محمد جودة، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الحمداني، أبو فراس:

ديوان أبي فراس الحمداني، دار بيروت، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩.

الذبياني، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف:

مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، ٢.

ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد:

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، بيروت، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

رضا، أحمد:

متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨.

رضا، محمد رشيد:

تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ.

ابن الرومي، علي بن العباس:

ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

www.mtenback.com

أبو زكريا، يحيى بن علي بن محمد الشيباني:

شرح المفضليات للتبريزي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القسم الأول.

الزمخشري، محمود بن عمر:

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: د. سليم النعيمي، العراق، وزارة الأوقاف، ج ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- المستقصى من أمثال العرب، نسخة مصورة من طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، الهند، ١٩٦٢م.

الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد:

شرح المعلقات السبع، بيروت، دار الجيل، ط ٢، ١٩٧٢م.

زهير بن أبي سلمى:

ديوانه، بيروت، دار صادر، د.ت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، المطبعة السلفية، ومكتبتها، ١٣٧٥هـ.

ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله:

طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.

سلامة، يسري محمد:

الحكمة في شعر المتنبي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

www.mtenback.com

الشافعي، الإمام محمد بن إدريس:

ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلق عليه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الشافعي، أحمد بن إبراهيم:

جواهر الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

شاكر، شكر هادي:

الحيوان في الأدب، العربي، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الشماخ بن ضرار:

ديوان الشماخ بن ضرار، شرحه أحمد أمين الشنقيطي، مطبعة السعادة القاهرة، ١٣٥٧هـ.

شوقي، أحمد:

الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بيك:

الغيث المنسجم في شرحة لامية العجم، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

صفوت، أحمد زكي:

جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، العصر العباسي الأول، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، د.ت.

ضياء الدين بن الأثير:

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الرياض، دار الرفاعي، ط ، ج١.

www.mtenback.com

أبو طالب، عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفري:

شعره: جمع عبد الحميد راضي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

طرفة بن العبد:

ديوانه، تقديم وشرح وتعليق: د. محمد حمود، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٥م.

الطغرائي، الحسين بن علي:

ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر، دار العلم، الكويت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦

طلفاح، خير الله:

كنتم خير أمة أخرجت للناس (أولئك آبائي)، بغداد، مطبعة المعارف، ج٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

عامر بن الطفيل:

ديوان عامر بن الطفيل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٨٦م.

عبد الفتاح، سيد:

حكم وأمثال ونوادر: القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت.

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م.

عبد الله بن معاوية:

شعر عبد الله بن معاوية، جمع عبد الحميد الراضي، مؤسسة، الرسالة، بغداد، ١٩٧٥م.

www.mtenback.com

عبيد بن الأبرص:

ديوانه، تحقيق: حسين نصار، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧.

عدي بن زيد العبادي:

ديوان عدي بن زيد، تحقيق: محمد جابر المعيبد، بغداد، ١٩٦٧م.

العسقلاني، الحافظ بن أحمد بن علي بن حجر:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ج ١، ١٠، ١٣.

عمر بن أبي ربيعة:

ديوانه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.

العمر، ناصر بن سليمان:

الحكمة، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

عويس، محمد:

الحكمة في الشعر الهربي (في الجاهلية والإسلام)، مصر، دار نافع للطباعة ١٩٧٩م، ج١، وفي العصر العباسي، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.

غصوب، خميس محمد:

عبد الله بن المعتز شاعراً، قطر، الدوحة، دار الثقافة.

ابن فارس، أبو الحسين:

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ.

www.mtenback.com

أبو الفتح البستي، علي بن محمد:

ديوان أبي الفتح البسستي، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

فؤاد، عبد الباقي محمد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/بحاشية المصحف الشريف: القاهرة، دار الحديث، د.ت.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب:

بصائر ذي التمييز لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

الفيصل، شكري:

أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:

الأمالي: بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

قبش، أحمد:

مجمع الحكمة والأمثال في الشعر العربي، دمشق، بيروت، دار الرشيد، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري:

عيون الأخبار: لبنان، دار الكتب العلمية.

القرطبي، أبو عمر يوسف النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج ٢، القسم الأول.

www.mtenback.com

قطب، سيّد:

في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

قيس بن الخطيم:

ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: إبراهيم السامرئي، وأحمد مطلوب، مطبعة المعاني، بغداد، ١٩٦٢م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر:

مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ.

كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي:

ديوان كثير عزة، شرح وتحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

لبيد بن ربيعة:

ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، د.ت.

لجنة من أدباء الأقطار العربية:

الحكم والأمثال، مصر، دار المعارف، د.ت.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مؤسسة المعارف.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح العكبري، دار المعرفة، بيروت.

www.mtenback.com

المثقب العبدي:

ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسين:

شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي:

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، قدّم له: الشيخ حسن تميم، بيروت، دار الأندلس، ط ٢، د.ت.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

ابن المعتز، عبد الله بن المعتزل بن المتوكل:

ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان:

لزوم ما لا يلزم، دار طلاس، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

المفضل الضبي، بن محمد بين يعلى بن عامر:

المفضليات، تحقيق: محد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٣٧١هـ.

المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي:

الترغيب والترهيب، تحقيق: محمد علي قطب، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢.

www.mtenback.com

الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

النابغة، الجعدي، قيس بن عبد الله:

شعره، منشورات المكتب الإسلامي، ط ١، د.ت.

النابغة الذبياني، ابو أمامة زياد بن معاوية:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

ابن نباتة المصر، جمال الدين أبو بكر:

ديوان ابن نباتة، تحقيق: محمد محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

نذير حمدان:

حكمة القرآن والحضارة،دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٦هـ/٩٩٥م.

النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الهباري، نظام الدين أبو علي محمد بن محمد العباس الهاشمي:

الصادح والباغم، بغداد، دار السلام، ١٣٤٣هـ.

www.mtenback.com

الهاشمي، السيد أحمد:

جواهر الأدب، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط ٢٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

اليسوعي، الأب شيخو:

شعراء النصرانية، بيروت، ١٨٩٠م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com